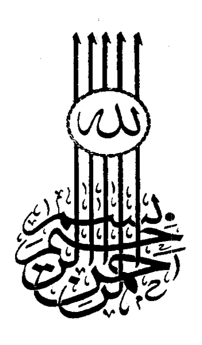
أصول النصرانية
فى الميزان

الدكتور/ **محمد سيد أحمد المسير**



أصول النصرانية
فى الميزان

الطبعة الأولى
١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد :

فهذا الكتاب له قصة ، زمانها هو شتاء عام (١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥م) ، ومكانها هو محطة القطار لمدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية .

يومها كنا طلابا فى المرحلة الثانوية ، هو فى المدرسة الصناعية ، وأنا فى المعهد الأزهرى .

هو شاب نصرانى من قرية « البتانون » التقى بزميل له فى الدراسة، وناقش معه أمورًا تتعلق بالدين ومقارنة الأديان .

وأسر إلىّ هذا الزميل ــ وهو من قريتى كفر طبلوها ــ بما يثيره صاحبه النصرانى من قضايا دينية ، فاتفقنا على اللقاء ــ نحن الثلاثة ــ فى قطار السكة الحديد ، الذى نركبه صباحًا ومساء كل يوم خلال رحلتى الذهاب والعودة .

وتناقشنا ، وكنت يومها ــ وما زلت والحمد لله ــ أرتدى الزى الأزهرى فأضفى على المناقشة مزيدًا من الحماس للبحث والحوار .

ولم تعد رحلة القطار تكفى لاستكشاف مكنون العقيدة لدى الطرفين ، فاتخذنا من أماكن الانتظار على محطة شبين الكوم منتدى فكريًا .

وتوالى اللقاء ،وخرج عن مقدرة هذا الطالب ، فبدأت مرحلة جديدة ذهب فيها الشاب إلى كنيسته واستعان بقساوستها ، وتوالت المراسلات بينى وبينه مباشرة أو عن طريق زميلنا الذى بدأ يقوم بمهمة نقل الرسائل وردودها .

وتبادلنا كتبا تمثل وجهة نظر الطرفين وتوضح عقيدة كل منهما .

وكان كتاب «محمد رسول الله فى بشارات الأنبياء » [1] للأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى الأفغانستانى ــ أحد هذه الكتب ، وقد حرص الشاب على طلبه منى ، ولما أرسلت إليه الكتاب اجتمع آباء كنيسة البتانون وقرؤوه سطرًا سطرًا ، وسجلوا ملاحظات على هامش صفحاته .

كما بعث إلىَّ هذا الشاب بكراسة سجل فيها تساؤلات الكنيسة حول القرآن المجيد وبعض التشريعات الإسلامية .

وجمعت هذه الأوراق ووضعتها بين أوراق كثيرة ــ أحتفظ بها ، تمثل مرحلة الصبا ، والتطلعات العقلية لشاب مسلم .

وانتهى الحوار يومئذ بالصمت ، وافترقنا بعد ذلك ، ولا أدرى أين هو الآن؟! ولا ماذا يعتقد ؟!

ويعلم الله أنه كان شابًا هادئ الطبع ، ولديه مرونة عقدية ،وما كان يخاطبنى فى رسائله إلا بعبارة : سيادة الأخ الحبيب ، سيادة الأخ الكريم . . . إلخ .

ومضى أكثر من ربع قرن من الزمان ،وعدت لتفتيش أوراقى، فإذا بهذه الكراسة وتلك القصاصات من الورق ، فتأملتها وتعجبت من عمق الحوار ونحن شباب غض ، وساءلت نفسى :

هل لدى شباب اليوم اهتمامات عقدية ، واتجاهات فى البحث العقلى ، وتأملات فى الفكر الراقى ؟!

وهل هذا الحوار يمثل مرحلة انتهت ، أم مازلنا فى حاجة إلى مزيد من الحوار الصريح الواضح ؟!

إن تقديمى اليوم لهذا الحوار مع الكنيسة له هدفان :

الأول : استنهاض همم الشباب المثقف إلى البحث والمقارنة والاستدلال

(1) طبع بمطبعة الشرق فى المحرم سنة ١٣٧٤هـ .

بعيدًا عما يسمى قتل الوقت ووأد الزمن ، فكم من الشباب اليوم بلا هدف أو وعى أو فكر !!

الثانى : إثراء الحوار الإسلامى النصرانى ، ذلك الحوار الذى يحق أن يستمر فى تسامح وحرية فكرية قائمة على الفطنة وصدق التجرد.

وقد يسر الله تعالى الأمور فى كتابة هذا الحوار وإعادة تقديمه، فقد انتهيت من تسجيله وأنا مقيم بالمدينة المنورة معارا إلى كلية التربية ، فرع جامعة الملك عبد العزيز ، وما طرقت بابا إلا وتفتحت أبواب ، وما بدأت فكرة إلا وتسلسلت أفكار، وما طلبت مرجعا إلا وتوافرت مراجع .

ومما يجب التنبيه إليه أن كل ما نسبته إلى صاحبى النصرانى فهو بنصه ونظمه، اللهم إلا كلمة هنا أو هناك اقتضتها طبيعة اللغة لتصحيح التركيب.

أما باقى الحوار فهو أسلوب الحاضر ومنهجه ،وإن كانت الأفكار لم تخرج عن ماضيها ، لكنها خضعت لتبويب ، وتقديم وتأخير ، وبسط وإيضاح .

وقد ارتكز هذا الحوار فى جانبه النصرانى على ثلاثة محاور أساسية هى:

١ ــ أصول النصرانية .

٢ ــ أوربا والنصرانية .

٣ ــ المسيح ورسالته فى القرآن .

وقد تضمن المحور الأول دراسات وحوارا حول :

ــ شخصية المسيح .

ــ الخطيئة والصلب.

ــ أناجيل البشر .

ــ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية .

وتركز المحور الثانى حول :

ـ موقف الكتاب المقدس لدى النصارى من العلم والتشريع .

ـ موقف الكهنة التاريخى من البحث التجريبى .

ـ أثر الكنيسة فى فساد المجتمعات الأوربية .

ـ الأسباب الحقيقية للحضارة الأوربية الحديثة .

ـ رد الفعل الأوربى تجاه الفساد الكنسى .

ـ الجانب الآخر للحضارة الأوربية المعاصرة .

وجاء المحور الثالث فى اتجاهين :

ـ مفاهيم قرآنية فى مواجهة التضليل التبشيرى.

ـ القصص الحق فى القرآن المجيد عن آل عمران وابن مريم ورسالته إلى بنى إسرائيل .

ويتناول كتابنا هذا المحاورات الخاصة بالمحور الأول : أصول النصرانية.

وأختم مقدمتى هذه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون** ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

القاهرة فى ١٣ من صفر سنة ١٤٠٩هـ

٢٤/٩/١٩٨٨م

أبو حذيفة

د. محمد سيد أحمد المسير

المحاورة الأولى :

شخصية المسيح

* عقيدة الكنيسة .
* مذاهب النصارى .
* الثالوث والتوحيد .
* بين آدم وعيسى .
* صفات إله أم رسول .
* الرجال بالحق .

عقيدة الكنيسة

جوهر العقيدة الصحيحة أو الباطلة فى المسيح عيسى عليه السلام هو تحديد شخصيته وانتمائها البشرى أو الإلهى .

وقد بدأ الحوار مع صديقى النصرانى حول شخصية المسيح ،وقد بعث إلىّ بملخص اعتقاد الكنيسة المصرية فى المسيح ، فكتب قائلا : « لكى نفهم ذات الله، وهذا أمر صعب على البشرية جميعها ، لابد أن يعلن الله ذاته للبشر بأخذ صورة إنسان.

ولكى نفهم دليل ولادته بدون أب لابد أن نفرق بين الخلق والولادة ، فخلق آدم من تراب شىء وولادة الإنسان بدون أب شىء آخر ، واتحاد المسيح بالطبيعة اللاهوتية كمثل اتحاد الحديد بالنار ، فإذا طرقت الحديد لم تتأثر النار.

وما كتبه الإنجيليون عن المسيح هو يمثل ضعف الإنسان .

ويجب أن نعلم أن غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله ».

وفى رسالة أخرى كتب قائلا :

« يعتقد المسيحيون أن المسيح هو الله .

وأن المسيح الإنسان هو ابن الله .

والروح القدس هى روح الله .

وهذا الاعتقاد صحيح لا محالة ؛ لأنه يعتقد به أكبر علماء العالم الحاضر من روس وأمريكان وفرنسيين وغيرهم من علماء الدول المتقدمة .

ولعل مشكلة تبرئة اليهود من دم المسيح هزت العالم هزا ، واهتمت بها الصحف العربية اهتماما بالغا ، واعترفت بها الدول غير المسيحية : أن المسيحيين يعبدون إلها واحدًا لا شريك له ، وهذا الإله هو خالق العالم وباعث

كل شىء على البسيطة .

وهذا الإله هو حى بروحه ، كائن بذاته ، ناطق بكلمته .

فروحه هى الروح القدس .

وكائن بذاته هى الآب.

وكلمته هى الابن المسيح.

وهذه الثلاثة هم إله واحد .

ولقرب الفهم يا عزيزى إليك مثالا للتوضيح :

الشمس ، فهى قرص وشعاع وحرارة ، وهذه الثلاثة واحد تحت اسم الشمس!!

أما كلمة الله التى هى المسيح ؛ لأنه يقول للشىء : كن فيكون ، متحد بطبيعته كاتحاد الحديد بالنار ، فالحديد هو الإنسان ، والنار هى طبيعة الله .

فهل تستطيع أن تفصل الحديد من النار إذا طرقت الحديد ؟!

هل تأثرت النار ؟ !

هكذا عند صلب المسيح تأثر الإنسان فقط .

وإذا كنا نعتقد أن الله قادر على كل شىء، فلا نعجب أن الله قادر على أن يلبس جسد الإنسان ليفدى البشرية على الصليب كذبيحة ؛ لأنه لا يفدى الشىء إلا خالقه !!

ولعلك سمعت خطاب الأنبا كيرلس السادس فى خطابه فى افتتاح الكاتدرائية ، قال :

باسم الله الواحد ، الكائن بذاته ، الحى بروحه ، الناطق بكلمته .

وهذه هى الآب والابن وروح القدس إله واحد.

فالله واحد مثلث الأقانيم ، فأقنوم الآب ثم الابن ثم الروح القدس ،

وكلمة « أقنوم » لا تفيد الانفصام بل الامتزاج والترابط » اهـ .

أظن أنى قدمت نص رسالة الشاب النصرانى التى كتبت فى كنيسة البتانون، والتزمت نص عبارته ، إلا حيث يجب التصحيح لتستقيم العبارة لغة أو فهما .

وقد وقعت الإشارة فى الرسالة إلى حدثين تاريخيين وقعا يومئذ وهما:

١ ــ وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح التى أصدرها المجمع المسكونى بروما عام ١٩٦٥ م.

٢ ــ افتتاح الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لكاتدرائية العباسية بالقاهرة.

مذاهب النصارى

ساق صاحبى اعتقاد كنيسته بأن المسيح هو الله، وأن المسيح الإنسان هو ابن الله ، وأنه اتحد بالطبيعة اللاهوتية ، وأن الآب والابن وروح القدس إله واحد.

وهذا اتجاه فى عقيدة النصارى من مجموعة اتجاهات اخترعها الوهم البشرى.

ويسوق الإمام الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل» الفرق الرئيسية للنصارى التى انشعبت منها سائر الفرق ، وهى ثلاثة [1] :

١ ــ الملكانية :

أصحاب « ملكا » الذى ظهر بأرض الروم واستولى عليها، قالوا : إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ، ويعنون بالكلمة : أقنوم العلم ، ويعنون بروح القدس : أقنوم الحياة .

ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا ، بل المسيح مع ما تدرع به ابن .

فقال بعضهم : إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

وقالت الملكانية : إن المسيح ناسوت كلى لا جزئى ، وهو قديم أزلى من قديم أزلى ، وقد ولدت مريم ــ عليها السلام ــ إلها أزليا ، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معًا .

وهذه الفرقة هى حصاد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م برئاسة الملك قسطنطين.

٢ ــ النسطورية :

أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون [2] ، وتصرف فى

---

(١) الملل والنحل ــ تحقيق محمد سيد كيلانى : ١/ ٢٢٢،ط. البابى الحلبى ١٩٦٧م بتصرف واختصار.

(٢) فى هذا التوقيت نظر؛ لأن نسطور كان بطريرك القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس الميلادى تقريبا =

الأناجيل بحكم رأيه ، قال : إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة ، الوجود والعلم والحياة ،وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هى هو .

واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية ، ولكن كإشراق الشمس فى كوة على بلورة ، وكظهور النقش فى الشمع إذا طبع بالخاتم.

ومنهم من أطلق القول بأن كل واحد من الأقانيم الثلاثة حى، ناطق ، إله، وزعم الباقون أن اسم الإله لا يطلق على كل واحد من الأقانيم.

وزعموا أن الابن لم يزل متولدًا من الآب، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت ، فهو إله وإنسان اتحدا، وهما جوهران أقنومان ، طبيعتان : جوهر قديم وجوهر محدث، إله تام وإنسان تام .

ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث، وقالوا: إن القتل وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته؛ لأن الإله لا تحل فيه الآلام.

٣ ـــ اليعقوبية :

أصحاب يعقوب (١) ، قالوا بالأقانيم الثلاثة كما سبق ، إلا أنهم قالوا : انقلبت الكلمة لحما ودما ، فصار الإله هو المسيح ،وهو الظاهر بجسده بل هو هو .

ومنهم من قال : ظهر اللاهوت بالناسوت فصار ناسوت المسيح مظهر الحق لا على طريق حلول جزء فيه ، ولا على سبيل اتحاد الكلمة التى هى فى حكم الصفة، بل صار هو هو ، كما يقال : ظهر الملك بصورة الإنسان ، أو ظهر الشيطان بصورة حيوان .

= بينما كان المأمون خليفة فى القرن الثامن الميلادى.

(١) نسبة إلى يعقوب البرادعى فى القرن السادس الميلادى ؛ لأنه أنشط الدعاة إليه ، لا أنه مبتدع المذهب، بل إن أول من ابتدع ذلك بطريرك الإسكندرية فى منتصف القرن الخامس الميلادى.

وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد ، وأقنوم واحد ، إلا أنه من جوهرين ، وربما قالوا : طبيعة واحدة من طبيعتين ، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا، وهو إنسان كله وإله كله .

فيقال : صار الإنسان إلها ، ولا ينعكس فلا يقال : صار الإله إنسانا ، وذلك كالفحمة تطرح فى النار ، فيقال : صارت الفحمة نارا ، ولا يقال : صارت النار فحمة ، وهى فى الحقيقة لا نار مطلقة ولا فحمة مطلقة ، بل هى جمرة .

وخلاصة هذه المذاهب الثلاثة أن المسيح عليه السلام ولد من مريم — عليها السلام — وقتل وصلب .

وبعد ذلك اختلفوا فى كيفية ذلك :

فالملكانية واليعقوبية قالوا : إن الذى ولد من مريم هو الإله ، والنسطورية قالوا : إن الذى ولد هو الإنسان التام ، ثم اتحد به الإله فصار إلها تاما وإنسانا تاما .

وقد وقع القتل والصلب عند الملكانية على الناسوت واللاهوت معًا.

ووقع عند اليعقوبية على الجوهر الذى هو من جوهرين .

ووقع عند النسطورية على المسيح من جهة ناسوته فقط .

الثالوث والتوحيد

يزعم صاحبى أن المسيحيين يعبدون إلها واحدا لا شريك له ، وهذا الإله حى بروحه، كائن بذاته ، ناطق بكلمته ، وأن الآب والابن وروح القدس إله واحد .

والتساؤل الوارد هنا :

هل الآب والابن وروح القدس جواهر قائمة بنفسها ، متميزة فى وجودها، أم أنها صفات متعددة لذات واحدة وجوهر واحد ؟ !

والنصارى حيارى متناقضون ـ كما يقول ابن تيمية [1] « إن جعلوا الأقنوم صفة امتنع أن يكون المسيح إلها .

وإن جعلوه جوهرا امتنع أن يكون الإله واحدا.

وهم يريدون أن يجعلوا المسيح الله ، ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الآب والابن وروح القدس إلها واحدًا ، ولهذا وصفهم الله فى القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسمًا غير المشركين تارة؛ لأنهم يقولون الأمرين وإن كانوا متناقضين» .

والعبارة التى ساقها صاحبى :« حى بروحه ، كائن بذاته ، ناطق بكلمته» فيها تضليل كبير ، أفلا يمكن أن يقال على الله غير هذه العبارات الثلاث؟!

وماذا لو قلنا مثلا :

قادر بقوته ، مريد بإرادته ، عالم بعلمه . هل تتعدد الآلهة أكثر أم يظل الثالوث ثابتا لا يتغير ؟!

وكلمة الله التى عدها النصارى المسيح عليه السلام هل كانت هذه الكلمة يتيمة لم يسبقها ولم يلحقها كلمة أخرى ؟

(١) الفتاوى : ٢ / ١٨٤ .

إن كلمات الله لا تنفد ، وقد ضرب القرآن المجيد مثلا تقريبيا لذلك فقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان : ٢٦] .

لقد مضى على ميلاد المسيح ما يقرب من ألفى عام فقط ، والبشرية أبعد زمنا وأسبق وجودًا ، فيا ترى هل العقائد الموحى بها على ألسنة رسل الله تختلف من نبى لآخر ؟

وهل حقيقة الألوهية والربوبية تتباين من جيل لآخر ؟ !

وهل كان نوح وإبراهيم وموسى وسليمان . . . إلخ يعرفون عقيدة النصارى فى الأقانيم والحلول والاتحاد ، ويدعون إليها ؟!

والجواب قطعًا بالنفى ، فليس أحد من هؤلاء يدرى من عيسى ؟ وما زمانه وما قصته ؟

فكيف كانت عقيدة هؤلاء المصطفين الأخيار ؟!

إن القصص الحق الذى أخبر به القرآن هو أن العقيدة واحدة من لدن آدم إلى خاتم الرسل محمد ﷺ ، وأن الشريعة اختلفت باختلاف الزمان والمكان.

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون ﴾ [الأنبياء: ٢٥] .

وقال جل شأنه : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج : ٦٧] .

إن التوضيح الذى ساقه صاحبى بمثال الشمس؛ حيث إنها قرص وشعاع وحرارة ، وهذه الثلاثة واحد تحت اسم الشمس — فيه أخطاء متعددة ، وجهل كبير بحقائق ثابتة .

فالشمس كوكب مضيء له بُعْد معين من الأرض، يقف العلماء على بعض أسراره ، وليست الشمس شعاعا ولا حرارة ولا قرصا ، فالقرص إنما هو خداع البصر ، والشعاع والحرارة صفات ليس لها استقلالية الجوهر .

وإن تعدد صفات الجوهر لا يخرجه عن وحدانيته ، ولو قلنا مثلا : اللواء المهندس الدكتور فلان ، فإنه شخص واحد له ثلاث صفات ، فمن حيث كونه فى القوات المسلحة فهو لواء ، ومن حيث دراسته للهندسة فهو مهندس ، ومن حيث حصوله على الدرجة العلمية للدكتوراه فهو دكتور ، ولا يعقل أن يقال : إننا أمام ثلاثة أشخاص هى اللواء والمهندس والدكتور .

كذلك المثال الآخر الذى ساقه صاحبى بالحديد والنار ، فإنهما حقيقتان مختلفتان مفصولتان واقعًا وذهنا ، والحديد المنصهر غير الحديد فقط ، وغير النار فقط ، وهى حقيقة جديدة قائمة على تداخل العناصر وامتزاج بعضها ببعض.

ومن غير المعقول أن ينصهر الناسوت مع اللاهوت ليخرج حقيقة جديدة ليست بناسوت صرف ولا لاهوت محض ؛ لأن ذلك يقتضى فَقْد بعض خصائص الإله وبعض خصائص البشر ليخرج هذا المزيج الجديد ، وذلك يؤدى إلى الطعن فى الإله والقدح فى وجوب وجوده ، والقول بالحدوث فى ذات الله تعالى والتجزئة والتركيب.

قال الإمام عبد الرحمن الإيجى [1] :

« وضبط مذهبهم ــ أى النصارى ــ أنهم إما أن يقولوا باتحاد ذات الإله بالمسيح ، أو حلول ذاته فيه ، أو حلول صفته فيه.

كل ذلك إما ببدنه أو بنفسه .

وإما ألا يقولوا بشىء من ذلك ،وحينئذ فإما أن يقولوا : أعطاه الله قدرة على الخلق أو لا، ولكن خصه الله تعالى بالمعجزات ،وسماه ابنا تشريفا كما سمى إبراهيم خليلا .

فهى ثمانية احتمالات كلها باطلة إلا الأخير » .

ونحن نفصل هذه الاحتمالات كما يلى :

---

(١) المواقف فى علم الكلام : ص ٢٧٤ ، ط . عالم الكتب ، بيروت .

١ ـــ اتحاد ذات الله تعالى ببدن المسيح .

٢ ـــ اتحاد ذات الله تعالى بنفس المسيح .

فهذان الاحتمالان باطلان ؛ لأن اتحاد الاثنين ممتنع ضرورة ، فحقيقة الإله وحقيقة المسيح متمايزان ، واتحادهما مع بقاء تمايزهما مستحيل ؛ لأنه ينفى الاتحاد.

واتحادهما مع عدم أحدهما مستحيل ؛ لأن المعدوم لا يتحد بالموجود ، ولأن العدم على الله مستحيل.

واتحادهما مع عدمهما معًا هو وجود لحقيقة ثالثة وعدم للحقيقتين الأخريين، وهذا مستحيل؛ لأن الواجب لا يعدم .

٣ ـــ حلول ذات الله ببدن المسيح .

٤ ـــ حلول ذات الله بنفس المسيح .

وهذان الاحتمالان باطلان أيضا ؛ لأن الحلول هو الحصول على سبيل التبعية وهو ينبغى الوجوب الذاتى ، ويلزمه أيضا قدم المسيح ببدنه أو نفسه وهو باطل بداهة ، فوجود الله أزلى ، ووجود المسيح حادث ، وحلول أحدهما فى الآخر يؤدى إلى حدوث الواجب أو وجوب الحادث ، ثم إن الحلول قائم على الانقسام والتركيب والاحتياج وهى معان يتنزه عنها الإله .

وإذا جاز الحلول فى عيسى بدنا أو نفسا ، فما المانع أن يحل فى أى جسم من الأجسام ولو كان حقيرا ؟!

٥ ـــ حلول صفة الله ببدن المسيح .

٦ ـــ حلول صفة الله بنفس المسيح.

وهذان الاحتمالان لا يعقل تصورهما؛ لأن الحلول من خواص الأجسام، والانتقال لا يتصور فى الصفات فهى لا تقوم وحدها، ولا تتحيز استقلالا[1].

---

(١) اتحاد صفة الله تعالى ببدن المسيح أو نفسه ظاهر البطلان لنفس السبب فى امتناع الحلول ؛ لأن الصفات=

٧ ـ أعطى الله المسيح قدرة على الخلق والإيجاد .

وهذا باطل ؛ لأن الخلق والإيجاد لله وحده ولا مؤثر فى الوجود سواه.

٨ ـ خص الله المسيح بالمعجزات .

وهذا هو الصحيح ، فالمعجزة هى فعل الله ـ عز وجل ـ على يدى نبيه، تصديقا لدعوى النبوة.

فليس للمسيح قدرة ذاتية ، ولا ينسب إليه تدبير كونى أو إبداع فى الموجودات، بل ذلك لله وحده.

فالمسيح عبد الله ورسوله ، خصه بما شاء من خوارق العادات.

﴿ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧٢ ، ١٧٣] .

ثم إن التساؤل الوارد حقا هو :

ماذا تعنون بالألوهية ؟

هل الألوهية لقب يمنح للإنسان كما تمنح ألقاب البطولة والشجاعة ؟!

ماذا يملك المسيح من أمر نفسه أو أمر الكون والكائنات من بدء الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؟!

إن الألوهية والربوبية ـ بالمعنى الحق ـ : هى إفراد الله تعالى بالعبادة والخضوع ، والاعتراف بأن الله صاحب كل نعمة ، وخالق كل نسمة ،ومالك كل شيء .

ولنقرأ خاشعين هذا النص الكريم ولنجب عن تساؤلاته :

= لا تقوم بنفسها ولا تنفك عن ذاتها.

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ
آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ .
أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا
أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ .
أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا
وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا
وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ
وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا
أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .
أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ .
أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ
أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ .
أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٥٩ ــ ٦٤] .

إن أحدًا لا يستطيع أن يدعى للمسيح دورًا فى آيات الأنفس والآفاق ، وكل ما وقع من خوارق العادات التى تعد على أصابع اليد لا ترفع المسيح إلها مع الله ، ولا تكسبه وضعا فوق طور البشر ، وإنما هو إنسان مصطفى ،وعبد يبلغ عن الله .

ثم إن هذه الخوارق هى الآن خبر يروى ،ولم يشاهدها أحد من الأجيال التالية ، والخبر يحتمل الصدق والكذب ، ومن المعلوم أن اليهود ينكرون رسالة عيسى ويقولون على مريم بهتانا عظيما.

ولولا أن القرآن المجيد أكد صدق هذه الخوارق ما اطمأن إليها إنسان ولا صدقها بشر ، وبخاصة مع تناقضات الأناجيل وأباطيلها .

ولقد ذهب بعض الباحثين من غير المسلمين إلى أن شخصية المسيح أسطورة ووهم كبير ،وساق المؤرخ العالمى « ول ديورانت » عرضا لأبحاث هؤلاء نوجزها فيما يلى [1] :

« كان « بولنجبروك » والملتفون حوله يقولون فى مجالسهم الخاصة : إن المسيح قد لا يكون له وجود على الإطلاق .

وجهر « فلنى » بهذا الشك نفسه فى كتابه « خرائب الامبراطورية » الذى نشره عام ١٧٩١ م .

وفى عام ١٧٩٦م أشـار « هردر » إلى ما بين مسيح متى ،ومرقس ، ولوقا ، ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها.

ولما التقى «نابليون » فى عام ١٨٠٨ م بالعالم الألمانى « فيلاند » لم يسأله القائد الفاتح سؤالا تافها فى السياسة أو الحرب ، بل سأله : هل يؤمن بتاريخية المسيح ؟

وجاء «دافد استروس » (١٨٣٥ ــ ١٩٣٦) فى كتابه عن حياة المسيح ــ وهو كتاب عظيم الأثر فى التاريخ ــ فرفض ما حاوله بولس من توفيق بين المعجزات والعلل الطبيعية ، وقال : إن ما فى الأناجيل من خوارق الطبيعة يجب أن يعد من الأساطير الخرافية ، وأن حياة المسيح الحقيقية يجب أن تعاد كتابتها بعد أن تحذف منها هذه العناصر أيا كانت صورها.

وفى عام ١٨٤٠ م بدأ « برونوبور » سلسلة من الكتب الجدلية الحماسية

---

(١) قصة الحضارة : ١١ / ٢٠٢ ترجمة محمد بدران ، ط الثالثة ١٩٧٣ .

يبغى بها أن يثبت أن يسوع لا يعدو أن يكون أسطورة من الأساطير ، أو تجسيدا لطقس من الطقوس ، نشأ فى القرن الثانى من مزيج من الأديان اليهودية واليونانية والرومانية .

ووصلت مدرسة « بيرسن ، ونابر ، ومتشاس » فى هولندا إلى أبعد الحدود فأنكرت حقيقة المسيح التاريخية .

وفى ألمانيا عرض « آرثر دروز » هذه النتيجة عرضا واضحًا محددًا عام ١٩٠٦م.

وفى انجلترا أدلى « و.ب. اسمث ، ج . م . ربرتسن » بحجج من هذا النوع أنكرا فيها وجود المسيح .

وهكذا بدا أن الجدل الذى دام مائتى عام سينتهى إلى إفناء شخصية المسيح إفناء تاما » .

لعن الله كل محب غال وكل مبغض حاقد.

ورحم الله ابن القيم حين قال [١] :

« فلولا محمد ﷺ لما عرفنا أن المسيح ابن مريم الذى هو رسول الله وعبده وكلمته وروحه موجود أصلا .

فإن هذا المسيح الذى أثبته اليهود من شرار خلق الله ، ليس بمسيح الهدى.

والمسيح الذى أثبته النصارى من أبطل الباطل ، لا يمكن وجوده فى عقل ولا فطرة ، ويستحيل أن يدخل فى الوجود أعظم استحالة ، ولو صح وجوده لبطلت أدلة العقل ، ولم يبق لأحد ثقة بمعقول أصلا ، فإن استحالة وجوده فوق استحالة جميع المحالات ».

ومما يجدر ذكره أن كلمة : « الأقنوم والأقانيم » لم ترد فى كتاب النصارى

---

(١) هداية الحيارى : ص ١٦٧ .

المقدس ، وليس لها مدلول لغوى متفق عليه ، ولعلها من تسرب وثنيات الفكر الفلسفى إلى عقول آباء الكنيسة .

يقول الإمام ابن تيمية (١) :

« إن قولهم بالأقانيم مع بطلانه فى العقل والشرع لم ينطق به عندهم كتاب، ولم يوجد هذا اللفظ فى شيء من كتب الأنبياء التى بأيديهم ولا فى كلام الحواريين .

بل هى لفظة ابتدعوها ، ويقال : إنها رومية (يونانية) ، وقد قيل : الأقنوم فى لغتهم معناه الأصل ، ولهذا يضطربون فى تفسير الأقانيم ، تارة يقولون أشخاص ، وتارة خواص ، وتارة صفات ، وتارة جواهر ، وتارة يجعلون الأقنوم اسما للذات والصفة معا ، وهذا تفسير حذاقهم ».

وهناك من الفرق النصرانية الأولى من ينكر هذه الخرافات ، ويثبت التوحيد لله والعبودية للمسيح ، ومن هؤلاء « أصحاب أريوس » قسيس الأسكندرية فى النصف الأول من القرن الرابع الميلادى ، وكان يقول: إن الآب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذ لم يكن الابن.

ومنهم أيضا « أصحاب بولس الشمشاطى » وكان بطريركا بأنطاكية ، وكان قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء ــ عليهم السلام ــ خلقه الله تعالى فى بطن مريم من غير أن يمسها ذكر ، وأنه إنسان لا إلهية فيه ، وكان يقول : لا أدرى ما الكلمة ولا روح القدس ؟!

ومن الفرق التى ظهرت بعد مجمع نيقية الذى أعلن الثالوث رسميا ــ فرقة مقدونيوس بطريرك القسطنطينية ، فقد أنكروا أن يكون روح القدس إلها وقالوا : إنها مخلوقة ، وقاوموا فكرة تأليه المسيح (٢) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح : ٢ / ١٠٠ ، ط . لمابع المجد التجارية.

(٢) راجع : الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ١ / ٤٨ ط دار الفكر ١٤٠٠هـ، ومحاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة : ص ١٤٧ ، ط الثانية ١٨ ١هـ.

بين آدم وعيسى عليهما السلام

حاول صاحبى أن يصطنع تفرقة بين خلق آدم وبين ولادة عيسى ليقيم نسبا بين الرب تبارك وتعالى وبين عيسى عليه السلام .

ونسى أن الولادة نوع من الخلق ، وأن الله تعالى رتب الأسباب والمسببات وربطهما بمشيئته ، وأنه سبحانه بديع السموات والأرض ومن فيهن .

وإبداع خلق الإنسان متنوع :

- فآدم خلق من غير ذكر ولا أنثى.
- وحواء خلقت من ذكر دون أنثى .
- وعيسى خلق من أنثى دون ذكر .
- وبقية البشر خلقوا من أنثى وذكر.

وبذلك تمت الاحتمالات كلها فى الخلق ، وظهرت قدرة الله للعالمين ، فإن جاز ادعاء النبوة أو الإلهية فى عيسى عليه السلام لكونه من أنثى دون ذكر ، فهو فى حق آدم أولى .

ولم يزعم أحد أن آدم عليه السلام إله أو ابن إله.

خلق آدم :

قصة خلق آدم من الأمور السمعية التى تلقيناها عن الوحى الإلهى ، وهى فى تصوير القرآن المجيد مرت بمراحل، عبرت عنها الآيات الكريمات فى أكثر من سورة .

المرحلة الأولى : من تراب :

وإليها الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

فآدم خلق من تراب الأرض مباشرة ، ولعل هذه المرحلة تمثل الصلة بين هذا المكان الجديد وهذه الأرض ، فهو خليفة فيها يعمرها ويستثمر خيراتها باسم الله وعلى هدى تشريعه الحكيم .

المرحلة الثانية : من طين :

وإليها الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] .

فالتراب إذا صُب عليه الماء صار طينا ، ويمثل الماء عنصرا أساسيا فى خلق كافة الكائنات الحية تصديقا لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] .

وقد نص القرآن على الماء فى خلق الإنسان فى قوله سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] .

المرحلة الثالثة : من طين لازب :

وإليها الإشارة بقوله جل شأنه : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات : ١١] .

واللازب الملتصق باليد عند المماسة ، وتلك مرحلة تعقب تحول التراب إلى طين مباشرة.

ومعنى ﴿ خَلَقْنَاهُم ﴾ : خلقنا أباهم الأول آدم عليه السلام فهم إليه ينسبون .

المرحلة الرابعة : من حمأ مسنون :

وإليها الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] .

الحمأ : هو الطين الأسود .

والمسنون : هو المتغير .

فالطين عند تركه فترة معينة يصير حمأ مسنونًا .

المرحلة الخامسة : من صلصال :

وقد وردت الإشارة إليها فى مثل قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ** ﴾ [الرحمن : ١٤] .

والصلصال هو الطين اليابس الذى يسمع له صلصلة أى صوت عند النقر عليه.

المرحلة السادسة : كالفخار :

وهى مرحلة لها من اليبس والصلابة ما يقربها إلى الفخار ، ولم يرد ذكر لهذه المرحلة إلا فى آية سورة الرحمن السابقة .

وبذلك تمت تسوية البدن المادية .

المرحلة السابعة : نفخ الروح :

وإليها الإشارة بقوله سبحانه : ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ [الحجر : ٢٩] .

وبهذا تم خلق الكائن الجديد والإنسان الأول ،وكان خاتمة مطاف الخلق الإلهى لأجناس هذا الكون وأنواعه .

ومن هنا كان الاحتفاء به فى الملأ الأعلى حيث صدر الأمر الإلهى للملائكة وإبليس بالسجود لآدم : ﴿ **فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾ [الكهف : ٥٠] .

وأحيط آدم علما بالأسماء كلها تمهيدا لممارسة خلافته فى الأرض ، هذا وقد جعل بعض الباحثين مراحل خلق آدم عشرا ، فذكر مرحلة ثانية هى الماء عقب مرحلة التراب ، وذكر مرحلة رابعة هى من سلالة من طين بعد مرحلة

الطين ، وذكر مرحلة تاسعة هى التسوية قبل نفخ الروح [(١)] .

ولكنى آثرت هذه المراحل السبع فقط ؛ لأن الماء لم يرد استقلالا لآدم على وجه الخصوص ، وإنما ورد للإنسان على وجه العموم كما فى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان : ٥٤] .

فقد يراد بالماء هنا الماء الدافق أو الماء المطلق .

ومرحلة السلالة من طين لا تعنى أكثر من مرحلة الطين ؛ لأن النص الكريم ورد بقوله : ﴿ مِّن طِينٍ ﴾ ولفظ « من » يفيد التبعيض فيلتقى مع معنى السلالة .

ومرحلة التسوية لا تعنى شيئًا أكثر من تمام المراحل السابقة ،وعندما نلاحظ سياقها فى النظم الكريم نجد أنها ذكرت حيث طويت المراحل السالفة بعضها أو معظمها ، ونقرأ مثلا :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٨ ، ٢٩] .

فهنا طويت مراحل التراب والطين والطين اللازب وكالفخار .

وفى سورة أخرى نقرأ قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص : ٧١ ، ٧٢] فلم تذكر هنا إلا مرحلة واحدة وطويت باقى المراحل المادية . . .

ولادة عيسى :

تحدث القرآن العظيم فى أكثر من سورة عن ولادة عيسى ابن مريم دون أن يمسها بشر ، وجعل ذلك من آيات الله التى تتجلى للإنسان .

لقد نشأت مريم فى بيت طاهر من بنى إسرائيل ، ونذرتها أمها محررة ، أى خادمة فى بيت المقدس ، وكان ذلك من القرب التى يُتَقَرَّب بها إلى

(١) راجع كتاب : العقيدة والفطرة : د . محمد فتح الله بدران : ص ٥٣ ، ط . زهران.

الله تعالى.

وتكفل بها زكريا ﷺ زوج خالتها أو أختها على اختلاف الروايات ، وأظهر الله على يديها خوارق العادات حتى اصطفاها على نساء العالمين .

وتم لها بالفضل فحملت بعيسى من غير أب ، وبشرها جبريل الأمين باسمه وما أعده الله له من كرامة الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٤٥ ـ ٤٧] .

وتحدث القرآن فى سورة أخرى عن الظروف التى أحاطت بمريم فى حملها ووضعها وما صاحب ذلك من مبشرات إلهية ، وجاء فى ختام القصة قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ . وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم : ٣٤ ـ ٣٦] .

وفى حديث الأناجيل عن ولادة عيسى لا نلاحظ أكثر من ذلك فى إطاره العام ، ولنأخذ مثلا رواية « متى » :

« أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا ، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس.

فيوسف رجلها إذ كان بارًا ، ولم يشأ أن يشهرها ، أراد تخليتها سرًا.

ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلا :

يا يوسف بن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ؛ لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع ؛ لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.

وهذا كله كان لكى يتم ما فعل من الرب بالنبى القائل ، هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعون اسمه « عمانوئيل » الذى تفسيره: الله معنا .

فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ، ودعا اسمه يسوع » (١) .

وفى إنجيل « لوقا » نقرأ :

« وفى الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها ناصرة ، إلى عذراء مخطوبة من بيت داود اسمه يوسف ، واسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيتها المنعم عليها ، الرب معك ، مباركة أنت فى النساء .

فلما رأته اضطربت من كلامه ، وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية . فقال لها الملاك : لا تخافى يا مريم؛ لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه » (٢) .

هذا هو خلق آدم ، وتلك هى ولادة عيسى ، وكلاهما بأمر الله تعالى وكلمته التكوينية ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [مريم : ٣٥] وليس فى ذلك إرادة لأى منهما ، وإنما هى إرادة الله وحده ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

ولو تأملنا قليلا لوجدنا أن خلق آدم أعجب من ولادة عيسى من وجوه :

١ــ خلق آدم إبداع لم يسبق ، وولادة عيسى امتداد لنموذج قائم.

٢ ــ لم يحشر آدم فى بطن امرأة ولا خرج من فرجها ، ونشأ عيسى فى

(١) إنجيل متى ص ١ عدد ١٨ : ٢٥ (حيث نذكر : «ص » مع الإنجيل فنعنى «الإصحاح»).
(٢) إنجيل لوقا ص ١ عدد ٢٦ : ٣٢ .

ظلمات الرحم واستهل صارخا من فرج المرأة .

٣ ـ ما كان آدم إلا بشرا سويا ، ومر عيسى بأطوار الجنين ومراحل الطفولة والصبا والشباب والكهولة .

٤ ـ سكن آدم الجنة حينا من الدهر ، وتعلم الأسماء كلها ،وسجدت له الملائكة ، لكن عيسى التقم ثدى امرأة وعاش بين جنبات الأرض.

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ [المائدة : ٧٥] .

صفات إلـه أم رسول

أ ــ إعلان الإله عن ذاته :

قدم صاحبى النصرانى قضية جعلها سببا للخلط الذى وقع فيه النصارى ، ألا وهى :

كيف يعلن الله ذاته للبشر ؟ !

وتوهم أن ذلك محصور فى أن يأخذ الإله صورة الإنسان . . . !!

وفى الحق أن هنا مجموعة اتجاهات يجب أن نعيها تماما :

أولاً : أن الإنسان محدود القوى والإدراك ،وهو فى مجال إدراكه العلمى والحسى محصور فى نطاق الكون المادى .

ومع التقدم الرهيب والسريع فى اكتشاف الأرض والفضاء ، فإن هناك مجاهيل ومغاليق لم يتطرق البحث العلمى إليها بعد ، وكل إدراك العلماء حول الكون لا يزال فى بداياته ، والطريق طويلة وشاقة .

فكيف ــ إذن ــ يستطيع الإنسان أن يخرج عن نطاق كونه وعالمه ليحيط برب الكون وخالق العالم ؟ !

إن القاعدة الإسلامية التى يقرها العقل ويساندها المنطق وتدل عليها كل الشواهد هى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الانعام: ١٠٣] .

وقد قال العلماء : كل ما طرأ ببالك فالله بخلاف ذلك .

ثانيا : إذا كان إدراك الذات الإلهية غير مقدور لعقل الإنسان ، فإن هناك

مجالا رحبا يستطيع العقل الإنسانى أن يسبح فيه ليسبح بحمد ربه ، ألا وهو آيات الأنفس والآفاق ، والنظر فى الكون والكائنات ، والتأمل فى ملكوت الأرض والسماء ليصل الإنسان إلى حقيقة الحقائق :

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج : ٦٢] .

ولذلك بات من المقرر فى عقيدة الإسلام أن وجود الخلق دليل وجود الخالق ، وأن استقامة الخلق دليل وحدة الخالق.

وقال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الانبياء : ٢٢] .

وقال جل شأنه : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴾ [الطور : ٣٥ ، ٣٦] .

ثالثا : أن إعلان الله تعالى عن ذاته للبشر فى صورته المثلى يتحقق بالأسماء الحسنى والصفات المقدسة التى وصف الله تعالى بها نفسه وأنزلها فى كتابه وعلمها المصطفين من خلقه .

قال جل شأنه : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الاعراف : ١٨٠] .

وقال رسول الله ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» .

فدعاء الله بأسمائه الحسنى يلتقى مع إحصائها فى أن كلا منهما يعنى استحضار المعنى القدسى واستشعار أثره فى القلب والجوارح ، والتخلق بأخلاق الله على قدر الطاقة البشرية .

ولنقف خاشعين متأملين هذا النص الكريم :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ .

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ .

هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ ـ ٢٤] .

ب ـ خوارق العادات :

قد يتوهم النصارى ألوهية عيسى عليه السلام لما أحاط بنشأته وحياته من خوارق العادات كمجيئه من غير أب ،وتكلم فى المهد ، وإحياء لبعض الموتى ، وإبراء لبعض المرضى.

لكن حقيقة الأمر أن هذه الصفات مجتمعة إنما هى صفات رسول مجتبى ، وإنسان مصطفى ،وعبد لله لن يستنكف عن عبادة ربه وخالقه.

وسبق أن قارنا بين خلق آدم وبين ولادة عيسى من حيث النشأة ، واتضح أن خلق آدم أعجب من ولادة عيسى .

والكلام فى المهد لم يكن خاصا بعيسى، بل إن الفكر الدينى يذكر لنا أطفالا تكلموا فى المهد ، وأنطقهم الله الذى أنطق كل شىء ،وكان ذلك يمثل إنصافا إلهيا لبشر اتهموا زورا وبهتانا فى أعراضهم ، أو يمثل انتصارا للعقيدة الصحيحة التى اضطهدت من طواغيت البشر.

وباستعراض الأحاديث الشريفة التى وردت فى هذا الشأن نجد أن الصادق المصدوق سيدنا محمدًا ﷺ قد أخبر ـ كما فى صحيح البخارى ـ أنه لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة ، وذكر عيسى ابن مريم ،وصبى العابد جريج ، والصبى المتعوذ من الجبار أن يكون مثله.

وهناك روايات أخرى تضيف طفلا رابعا هو طفل صاحبة الأخدود، وقد رواه مسلم ، وطفلاً خامسًا : هو طفل ماشطة بنت فرعون ، وقد رواه أحمد وابن حبان والحاكم (١) .

---

(١) راجع تفاصيل هذه الروايات وشرح العلماء لها فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى فى أحاديث رقم (١٢٠٦ ، ٢٤٨٢، ٣٤٣٦ ، ٣٤٦٦) ، وفى شرح النووى على صحيح مسلم : ١٦/ ١٠٥.

وخوارق العادات التى اقترنت برسالة عيسى عليه السلام هى من جنس معجزات الأنبياء جميعا ، فما من نبى إلا وأظهر لقومه معجزة يستدلون بها على رسالته ، تتناسب مع زمانه ومكانه.

قال الإمام ابن كثير [1] :

« بعث الله كل نبى من الأنبياء بما يناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزات بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحَّار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار؛ انقادوا للإسلام ، وصاروا من عباد الله الأبرار .

وأما عيسى عليه السلام فبعث فى زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعةفجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذى شرع الشريعة ، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه والأبرص ، وبعث من هو فى قبره رهين إلى يوم التناد؟!

وكذلك محمد ﷺ بعث فى زمان الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل ، فلو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا . . . ».

ونقول أيضًا :

ما الفرق بين طير عيسى وناقة صالح ؟!

وأيهما أعجب : إحياء إنسان ميت أم انقلاب عصا موسى حية تسعى؟!

إن الإنسان سبق له الحياة فالعودة إليها أيسر، والعصا لم تعهد حية ولم يسبق لها حياة.

وأيهما أقرب إلى الواقع : إحياء الموتى أم حنين الجذع لسيدنا محمد ﷺ؟!

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٣٦٤ .

ففى الصحيح أن النبى ﷺ كان إذا خطب يقوم إلى جذع نخلة ، فلما صنع له المنبر سمع الصحابة لذلك الجذع صوتا كصوت العشار .

وفى رواية : « حتى تصدع وانشق ، حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليه فسكت » .

وفى رواية : « إن هذا بكى لما فقد من الذكر » .

وفى رواية : « والذى نفسى بيده ، لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة» .

إن المعجزة اصطلاحًا :

أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يدى مدعى النبوة، تصديقًا لدعواه، مقرونًا بالتحدى ، مع عدم إمكان المعارضة .

جـ ـ ابن الإنسان :

أناجيل النصارى تذكر الشىء ونقيضه حول شخصية المسيح ، ويمكن لكل باحث أن يستند إلى نصوص كتابهم المقدس .

وعلى هذا الدرب نسوق للنصارى من مقدساتهم ما يؤكد بشرية المسيح :

١ ـ تذكر الأناجيل نسب عيسى عليه السلام وتضطرب فى هذا النسب عددًا وأسماء فى السلسلة التى تصل عيسى بإبراهيم ـ عليهما السلام .

والنقطة التى تفضح مزاعمهم الفاسدة هى أن أصحاب الأناجيل ينسبون عيسى من جهة يوسف النجار خاطب مريم ، ويغفلون تمامًا نسبة عيسى من جهة أمه .

ويلزمهم من ذكر هذا النسب من جهة يوسف أمران :

الأول : أن عيسى ابن الإنسان وليس ـ كزعمهم ـ إلها أو ابن إله ، وإلا ما كان له نسب إلى البشر .

الثانى : أن عيسى بن يوسف النجار حملت به مريم سفاحًا ، وهذا تأكيد

لافتراءات اليهود وقولهم على مريم بهتانًا عظيما .

٢ ـ صرحت الأناجيل أكثر من مرة بأن المسيح ابن الإنسان :

ففى الإصحاح السابع عشر من إنجيل متى :

« وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلا : لا تعلموا أحدًا بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات . . . » (١) .

وفى إنجيل مرقس :

« فأجاب وقال لهم : إن إيليا يأتى أولا ويرد كل شىء، وكيف هو مكتوب عن ابن الإنسان أن يتألم كثيرًا ويرذل » (٢) .

وفى إنجيل لوقا :

« وأقول لكم كل من اعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله » (٣) .

وهناك إحصائية ذكرها بعض الباحثين تشير إلى أن التعبير بابن الإنسان ورد فى الأناجيل الأربعة على النحو التالى (٤) :

ـ فى إنجيل متى ٢٦ مرة .

ـ فى إنجيل مرقس ١٠ مرات .

ـ فى إنجيل لوقا ١٨ مرة .

ـ فى إنجيل يوحنا ١٠ مرات .

٣ ـ ورد كثيرا فى الأناجيل مناجاة عيسى لربه ، واستغاثته بالإله وتضرعه إلى الرب تبارك وتعالى ودعوته إلى توحيد الله.

---

(١) إنجيل متى ص ١٧ عدد ٩.
(٢) إنجيل مرقس ص ٩ عدد ١٢ .
(٣) إنجيل لوقا ص ١٢ عدد ٨ .
(٤) محمد رسول الله فى بشارات الأنبياء للأستاذ محمد عبد الغفار الهاشمى : ص ٥٦ ـ مطبعة الشرق ـ سنة ١٣٧٤هـ .

ففى إنجيل مرقس :

« وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا : إلوى إلوى لما شبقتنى ، الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى » [١] .

ففى هذا النص يلجأ ابن الإنسان إلى إلهه الذى خلقه وسواه ، ويظهر هذا النص المسيح فى الصورة البشرية الواضحة حيث يصرخ بصوت عال فى وقت عجز فيه عن كل شيء.

وفى إنجيل يوحنا :

«والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى » [٢] .

«وهذ هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته »[٣] .

فهنا تصريح بأن عيسى رسول الله وأن الله هو الإله الحقيقى وحده .

وفى إنجيل متى :

« فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » [٤] .

فهذا وصف صريح بأن المسيح نبى مرسل وليس إلها أو ابن إله .

وفى إنجيل متى أيضا :

« ولا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد : المسيح » [٥] .

فهذا النص واضح صريح فى أن الرب واحد وأن المسيح معلم فقط .

وفى نهاية الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى نقرأ هذه العبارة : «لأنى أقول لكم: إنكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم

(١) إنجيل مرقس ص ١٥ عدد ٢٤ .
(٢) إنجيل يوحنا ص ١٤ عدد ٢٤ .
(٣) إنجيل يوحنا ص ١٧ عدد ٣.
(٤) إنجيل متى ص ٢١ عدد ١١ .
(٥) إنجيل متى ص ٢٣ عدد ٩ ، ١٠ .

الرب».

٤ ــ تحدثت الأناجيل عن أوصاف بشرية صرفة صاحبت حياة المسيح ، وأظهرت جوانب ضعف كثيرة ، الأمر الذى يجمعه مع عامة البشر . فهو يحتاج كباقى البشر إلى اللقمة والشربة ويصيبه الجوع :

« جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون: هو ذا إنسان أكول وشريب خمر . . » [١] « فبعدما صام أربعين نهارًا وأربعين ليلة جاع أخيرًا » [٢] .

وهو ينام نومًا عميقًا حتى لا يكاد يشعر بما حوله من اضطراب وأهوال :

« ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه ، إذ اضطراب عظيم قد حدث فى البحر حتى غطت الأمواج السفينة ، وكان هو نائمًا ، فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين: ياسيد نجنا فإننا نهلك . . . » [٣] .

وهو أحيانا يغضب غضبًا حادًا وينفعل انفعالا شديدًا :

« ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة ، وكراسى باعة الحمام ، وقال لهم : مكتوب بيتى بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» [٤] .

وهو يتصبب عرقًا :

« وإذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض » [٥].

وهو يبكى حزنًا :

« وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها» [٦] .

٥ ــ تحدثت الأناجيل عن محاولة لإبليس اللعين أن يخدع المسيح عن

---

(١) إنجيل متى ص ١١ عدد ١٩ .
(٢) إنجيل متى ص ٤ عدد ٢٠ .
(٣) إنجيل متى ص ٨ عدد ٢٣ : ٢٥ .
(٤) إنجيل متى ص ٢١ عدد ١٢: ١٣ .
(٥) إنجيل لوقا ص ٢٣ عدد ٤٤ .
(٦) إنجيل لوقا ص ١٩ عدد ٤١ .

صفاء فطرته ، وصدق ولائه لله ، وإيمانه بخالقه ، ورازقه، فلم يستجب المسيح لإغراء الشيطان ، وخرج المسيح من هذه التجربة بقوة الروح والإيمان.

ولا سبيل للشيطان إلا على ابن الإنسان.

وهذه هى رواية أحد الأناجيل :

« وقال له إبليس إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا ، فأجابه يسوع قائلا : مكتوب أن ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة عن الله.

ثم أصعده إبليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة فى لحظة من الزمان ، وقال له إبليس : لك أعطى هذا السلطان كله ومجدهن لأنه إلىّ قد دفع وأنا أعطيه لمن أريد ، فإن سجدت أمامى يكون لك الجميع.

فأجابه يسوع وقال: اذهب يا شيطان ، إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد.

ثم جاء به إلى أورشليم وأقامه على جناح الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل ، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك ، وأنهم على أياديهم يحملونك لكيلا تصدم بحجر رجلك.

فأجاب يسوع وقال له : إنه قيل لا تجرب الرب إلهك ، ولما أكمل إبليس كل تجربة فارقه إلى حين .

ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل » (١) .

والتعبير عن المسيح بابن الله هنا لا يعنى البنوة الحقيقية ، وإنما يعنى بنوة الخلق والإيجاد والتدبير فالخلق جميعا أبناء الله.

وما ورد أحيانا من إطلاق لفظ « الآب » على الله يمكن حمله أيضا على معنى الربوبية العامة ، بل قد صرح الإنجيل بإضافة لفظ الآب إلى غير عيسى

(١) إنجيل لوقا ص ٤ عدد ٣ : ١١ .

فى مثل هذا النص :

« قال لها يسوع: لاتلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ، ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم : إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » [1] .

(١) إنجيل يوحنا ص ٢٠ عدد ١٧ .

الرجال بالحق

لم يسق صاحبى دليلاً واحدًا على أقانيم النصارى ، وإنما دلل على صحة عقيدتهم فى الآب والابن وروح القدس بقوله :

« وهذا الاعتقاد صحيح لا محالة؛ لأنه يعتقد به أكبر علماء العالم الحاضر من روس وأمريكان وفرنسيين وغيرهم من علماء الدول المتقدمة » .

وفى إحدى رسائله إلىّ استشهد على صحة الكتاب المقدس عندهم بأن عظماء رجال السياسة والمخترعين والعلماء والفلاسفة يعتقدون ذلك .

وساق مجموعة أقوال لكل من : نيوتن ، وباتريك هنرى الأمريكى ، وتوماس هكسلى ، والجنرال جرانت ، وميخائيل فرادى ولنكولن . .

وهاك أمثلة لما ساقه لنرى البراهين العقلية والعلمية المزعومة التى تضمنتها هذه الأقوال :

١ ــ السير إيزاك نيوتن ، ذلك العالم الفذ الذى اكتشف قانون الجاذبية ، وصار اكتشافه فيما بعد أساسًا لكل العلوم الطبيعية ، كان هذا الرجل حقًا فريد زمانه فى العقل والعلم ، وهذا ما قاله عن الإنجيل :

« إنى أعتبر الأسفار المقدسة أسمى فلسفة ، وإنها لتحمل [١] بين طياتها البراهين على صدقها أكثر من أى كتاب فلسفى عالمى » .

فأى دليل قدمه نيوتن هنا ؟

هل يوجد فى كلماته اكتشاف علمى يؤيد صحة الإنجيل ؟

إنه يعتبر الأسفار المقدسة أسمى فلسفة . وتلك هى عقيدته التى ورثها وليعتبر ما شاء .

---

(١) كتبها صاحبى : « لا تحمل » ، وهو المعنى الصحيح ، إلا أنه لا يريده طبعًا .

٢ ـ « لنكولن » المحرر العظيم ومخلص أمته ، ومما قاله :

« إنى دائمًا أربح من قراءة الكتاب ، ولذلك يحسن بالإنسان أن يعتقد بالربح العظيم الذى يجنيه من قراءته ثم يترك ما بقى لإيمانه ، فيحيا بذلك ويموت رجلاً أفضل مما كان » .

ماذا قدم هذا المحرر العظيم من أدلة ؟!

إن عبارته التى سيقت هنا تؤكد وجود الطلاسم الكنسية والأساطير الكهنوتية ، فهو يفرق بين ربحه من القراءة على أساس عقيدته الموروثة وبين أشياء يرى ألا يفكر فيها ولا يناقشها ، ويزيحها إلى دائرة ما هو مشهور عندهم: خذ وأنت أعمى !!

ولنعد قراءة عبارته « ثم يترك ما بقى لإيمانه ».

٣ ـ العالم ميخائيل فرادى الذى باكتشافه مغناطيسية الكهرباء مهد الطريق لرجال أمثال : مركونى ، ودتسلا ، ودايسون ، ولم يقتصر هذا الرجل الفذ على اكتشاف الأمور العلمية، بل امتدت مجالات بحثه إلى الأمور الروحية ، إذ قال :

« لماذا يضل الناس وعندهم الكتاب المقدس المبارك » .

ما أعظمه من اكتشاف مذهل عندما ينادى ميخائيل هذا بأن عندهم الكتاب المقدس المبارك !!

أهذا اكتشاف روحى يعادل اكتشاف المغناطيسية ؟

وماذا يتضمن هذا الاكتشاف من أدلة إثباته ؟

إنها دعوى بلا دليل . .

يا صاحبى :

إن المنهج الإسلامى يعلمنا أن الرجال يعرفون بالحق ويوزنون به ، ولا يعرف الحق بالرجال !! .

فالحق أحق أن يتبع .

وإلا فماذا نحن قائلون فى الشيوعية التى يتبعها الآن ملايين من البشر ؟! أو الوثنية التى اعتنقتها أجيال من بنى الإنسان ؟!

إن غاندى الزعيم الهندى العالمى كان يصحب عنزا معه فى حله وترحاله يتبرك ببولها وروثها !!

إن كثيرًا من المبرزين فى الطبيعة أو السياسة أو علوم المادة مطلقًا لا يلجؤون إلى تصحيح عقيدتهم بل يتركونها للوراثة والتقليد ويقولون : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف : ٢٢] .

وإذا كان صاحبى ساق أمثلة لرجال عبروا عن عقيدتهم الوراثية ولم يعبروا عن عقيدتهم العقلية ، فإنى أستطيع أن أقدم له نماذج من بنى عقيدته يهيلون عليها التراب، ويدعون إلى التخلص من رواسب الكنيسة وطرح هذه الموروثات العفنة .

إن الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو (١٧١٢ ـ ١٧٧٨م) الذى تعد كتاباته إنجيل الثورة الفرنسية ، يقسم المسيحية إلى قسمين [١] :

١ ـ مسيحية الإنجيل .

٢ ـ مسيحية القساوسة .

ويعتقد أن المسيحية الأولى ليست مملكتها فى هذا العالم ،وهى تبشر بالعبودية والطاعة ، وروحها ملائمة للطغيان ، فإن استطاع طاغية أن يفرض نفسه على مواطنيه ، ويستولى على السلطة ،فسرعان ما يصير موضع تكريم لأنه إرادة الله ، وإذا أساء الحاكم فى تصرفاته نظر إليه باعتباره العصا التى يعاقب بها الرب عباده .

والجندى المسيحى يعرف كيف يموت أكثر مما يعرف كيف ينتصر ، وما يقال عن انتصارات الصليبيين لا ينسب إلى المسيحيين الحقيقيين بالمعنى الحرفى .

---

(١) راجع كتاب : العقد الاجتماعى ، ترجمة عادل زعيتر أو عبد الكريم أحمد .

فالإنجيل لا يؤسس دولة ، والمسيحيون الحقيقيون خلقوا ليكونوا عبيدًا ، وكل حرب مقدسة عند النصارى تكون مستحيلة ، لأن استعمال العنف وسفك الدماء لا يتفق مع الوداعة المسيحية .

وأما مسيحية القساوسة فتعطى للناس تشريعين ، ورئيسين ، ووطنين أحدهما دينى والآخر مدنى ، وتخضعهم لواجبات متناقضة ، وتقوم على أكاذيب تخدع الناس ، وتجعلهم بلهاء ، يؤمنون بالخرافات ويغرقون عبادة الله الحقيقية فى طوفان من الطقوس الجوفاء ، وهى دين متعصب يجعل الشعب سفاكًا ، لا يعيش إلا على دماء القتلى والمذابح ، وفى صراع دائم مع جميع الشعوب .

وقد نادى الفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه (١٧٤٤ ــ ١٩٠٠م) بموت الإله ، ووصف طلاسم الكنيسة وكهنوت رجالها وصفا ساخرًا فقال [١] :

« انظروا إلى المساكن التى بناها هؤلاء الكهنة ، وقد سموها كنائس ، وما هى إلا كهوف تنبعث منها روائح التعفن ، وهل للروح أن ترتفع إلى مستواها تحت لألاء هذه الأنوار الكاذبة ، وفى هذا الجو الكثيف حيث لا يسود إلا عقيدة تصم الناس بالخطيئة ، وتأمرهم بصعود درجات الهيكل زحفًا على الركب ؟!

إنى لأفضل أن أنظر إلى اللحظات الفاحشة من أن أرى هذه العيون أطبقت أجفانها معلنة خشوعها واستغراقها » .

ثم يستطرد فى وصف الكهنة قائلاً :

« لقد أراد هؤلاء الكهنة أن يعيشوا كأشلاء الموتى ، فسربلوا جثثهم بالسواد ، فإذا ألقوا مواعظهم انتشرت منها رائحة اللحود .

إن من يجاور هؤلاء الناس فكأنما هو ساكن على ضفة الأنهار السوداء ، حيث لا يسمع إلا نقيق الضفادع الحزين . . . » .

---

(١) راجع كتاب : هكذا تكلم زرادشت ، ترجمة فليكس فارس .

ومن المعروف أن فردريك نيتشه ينحدر من أصلاب لها تاريخ فى خدمة الكنيسة ، فأبوه قسيس ، وأجداده لأبيه وأمه قساوسة ، ومع ذلك يوصى أخته فى أخريات أيامه قائلاً [1] :

« عدينى إذا مت ألا يقف على جدثى إلا الأصدقاء ، ولا يسمح بذلك للجمهور المتطلع ، ولا تدعى قسيسًا أو غيره ينطق بالأباطيل بجانب قبرى فى وقت لا أستطيع أن أدافع عن نفسى .

إنى أريد أن أهبط إلى قبرى وثنيًا شريفًا » .

وقد اتفقت كلمة الباحثين على أن إلحاد نيتشه يقع وزره على عاتق الكنيسة ورجالها ، فقد اتهمهم بابتداع أشياء سماوية ليخفوا رؤوسهم فى رمالها ، واختراع الدماء المراقة لافتداء البشر [2] .

---

(١) قصة الفلسفة الحديثة : د. أحمد أمين ، د. زكى نجيب محمود ٢/ ٤٢١ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع كتابنا : « المجتمع المثالى فى الفكر الفلسفى وموقف الإسلام منه » ص٤١١ ، ط . دار التراث بالمدينة المنورة .



المحاورة الثانية:

الخطيئة والصلب

* فلسفة الكنيسة .
* أسطورة الصلب .
* علامة استفهام .
* آدم بين المعصية والتوبة .
* فرضيات .
* طريق الخلاص .
* عذاب الله .

فلسفة الكنيسة

من صلب العقيدة الكنسية قضية الصلب والفداء . وقد شرحها صاحبى وتفاخر بها ، وساق اعتقادهم فيها فقال :

« إننا كمسيحيين نفخر بعملية صلب المسيح ولا نصدم ، والمسيحى فخور بالفداء العجيب على الصليب ، ولإيضاح ذلك :

يوجد ــ يا عزيزى ــ نوعان من الموت :

موت محزن كالمحكوم عليهم بالإعدام .

وموت مشرف كشهيد الوطن .

أما موت المسيح على الصليب فكان مشرفًا ، وذلك لأن المسيح مات من أجل خطايا العالم كله .

فعندما أخطأ آدم طرد من الجنة ، وبطرده طرد نسله ، فأصبح الإنسان فى حرب مع الشيطان ، وعمل الخطايا فأغضب الله .

ودليل ذلك سفينة نوح عليه السلام ولو كان نسل آدم لم يخطئ لعاد إلى الجنة مرة ثانية .

وأخذت البشرية فى عمل الشر لدرجة أن قال داود النبى : « الكل زاعر [1] وفسدوا ، وأعوزهم مجد الله ، ليس من يعمل صلاحًا ، ليس ولا واحد » .

والنفس التى تخطئ هى تموت .

فيا عزيزى :

إن لم ينزل المسيح تكون البشرية هالكة فى نار جهنم ، ولذلك أمر الله

---

(١) زعر (بفتح فكسر) : الرجل إذا ساء خلقه وقل خيره .

بنى إسرائيل قديمًا أن يقدموا ذبائح لغفران خطاياهم ، ولما زاد شر البشرية نزل الله العلى فى جسد إنسان ليفدى الإنسان من الخطايا .

وبذلك نكون نحـن مبـرئين من عمل الإثم فلا يحق عمل الخطيئة مرة ثانية . . . !!

ولعلك تقول : لماذا عمل الإنسان الخطيئة ؟!

لقد عملها الإنسان بإغراء الشيطان ، والكبرياء ، ومعصية أمر الله ؛ والذهاب وراء الشهوات » .

وفى رسالة أخرى بعث صاحبى يقول :

« إذا فرضنا أن المسيح لم يصلب فهل تستطيع الرد على هذه الأسئلة :

ما حكم الله على الإنسان الخاطئ ؟!

ما هى طرق تخليص الإنسان من خطيئته ؟!

للإجابة على السؤالين السابقين نقول ــ نحن المسيحيين :

إن حكم الإنسان الخاطئ هو نار جهنم ؛ لأنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ !!

وليس الحسنات تغفر السيئات !!

ولو صنع الإنسان حسنات طوال حياته ، وعمل خطيئة واحدة فقط فلن يرث النعيم !!

هذا ما قاله الله فى كتابه المقدس !!

ولو دخلت البشرية نار جهنم لابد أن يخلصها الله العلى بكلمة منه هى المسيح ؛ لأن المسيح كلمة الله ، وأن رسالة السيد المسيح تختلف عن الرسالات السماوية فهى رسالة الفداء العجيب على الصليب .

وبذا نقول : إن المسيح نزل من المسيح لأجل هذا الغرض ، وهو خلاص

البشرية ولكن عن طريق آخر .

كان الله أمر شعب اليهود قديمًا أنه إذا أخطأ إنسان قدم ذبائح لغفران خطاياه ، أما المسيح فقدم نفسه فداء عن العالم كله على الصليب ، ليخلص المسكونة من خطاياهم ، ويتقبل الله توبة الإنسان الخاطئ .

هذا ما تعلمه لنا مسيحيتنا .

ولكن ــ يا عزيزى ــ إن الإله لم يقتل ؛ لأن الإله حى لا يموت !!

أما الإنسان المتحد مع الطبيعة الإلهية لأنه كلمة من الله فهو الذى مات !!

وإن هذا الموت لم يستمر إلا ثلاثة أيام ، وقام فى صباح الأحد » .

أسطورة الصلب

من المفيد أن نذكر قصة الصلب كما توهمها أصحاب الكتاب المقدس لدى النصارى ، لأنها تحمل دليل بطلانها ، وتسوق برهان فسادها ، ولا تزيد عن كونها أسطورة من أساطير عجائز النساء ، وبخاصة إذا لاحظنا أن هذا المصلوب إله أو ابن إله فى زعمهم .

والأناجيل متناقضة فى رواية هذه الأسطورة ، ويكفى أن نحيل إلى إنجيل « متى » فى روايته لهذه الأسطورة .

فقد كتب « متى » على لسان المسيح أنه أخبر تلاميذه قبل عيد الفصح بيومين أن ابن الإنسان يسلم ليصلب .

وأثناء حديثه معهم قدمت امرأة وسكبت عليه قارورة طيب غالية الثمن ، فتألم التلاميذ من تصرف المرأة لأنه كان يمكن أن يباع الطيب بثمن كبير ويمنح للفقراء ، ولكن المسيح أزال عنهم تألمهم بقوله : « لماذا تزعجون المرأة ؟

فإنها قد عملت بى عملاً حسنًا ، لأن الفقراء معكم فى كل حين ، وأما أنا فلست معكم فى كل حين .

فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدى إنما فعلت ذلك لأجل تكفينى [1].

ويحدث « متى » أنه فى المساء اجتمع المسيح مع تلاميذه الاثنى عشر . وفيما هم يأكلون فاجأهم المسيح بأن واحدًا منهم سيسلمه إلى أعدائه ، وعرفه لهم حتى أحس يهوذا الأسخريوطى بنفسه فقال :

هل أنا هو يا سيدى ؟

قال له : « أنت قلت » .

---

(١) إنجيل متى ص٢٦ عدد ١٠ : ١٢ .

وأثناء الأكل أخذ يسوع الخبز وبارك وقال لتلاميذه :

« خذوا كلوا ، هذا هو جسدى » !!

وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً :

« اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمى » (١) !!

وفى هذه الليلة حزن المسيح واكتأب وأخذ يصلى قائلاً :

« يا أبتاه ، إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا ، بل كما تريد أنت » !

وفى لحظة القبض عليه جاء تلميذه يهوذا ومعه جمع كثير بسيوف وعصىّ وقد أعطاهم يهوذا علامة لمعرفة المسيح وهى أن يقبله ، فلما تقدم يهوذا إلى يسوع وقال :

« السلام يا سيدى ، وقبله .

فقال له يسوع : يا صاحب لماذا جئت ؟!

حينئذ تقوموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه ، وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه .

فقال له يسوع : رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون ، أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشًا من الملائكة » (٢) .

ولما مضوا بالمسيح إلى رئيس الكهنة تبعه تلميذه بطرس لينظر من بعيد ، وبحث رؤساء الكهنة عن شهود زور ، فتقدم شاهدان وقالا : « هذا قال : إنى أقدر أن أنقض هيكل الله وفى ثلاثة أيام أبنيه » .

وكان يسوع ساكتا لا يتكلم فالتفت إليه رئيس الكهنة وقال له :

---

(١) إنجيل متى ص٢٦ عدد ٢٦ : ٢٨ .
(٢) إنجيل متى ص٢٦ عدد ٤٩ : ٥٣ .

« أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟

قال له يسوع : أنت قلت ، وأيضًا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء » (١) .

هنا انفعل رئيس الكهنة ومزق ثيابه وأجمع الكهنة على ثبوت جريمة الردة على يسوع وقالوا : إنه مستوجب الموت، ثم بصقوا فى وجهه ولكموه ولطموه !!

والتلميذ بطرس راقب الموقف على بعد دون أن ينطق ببنت شفة، بل إنه أقسم ثلاث مرات إنه لا يعرف المسيح !!

ومضى الكهنة بيسوع إلى الوالى بيلاطس البنطى الذى سأله فلم يجب بكلمة واحدة حتى تعجب الوالى .

وكان الوالى معتادًا فى العيد أن يطلق أسيرًا واحدًا يريده الناس ، وكان للشعب أسير مشهور يسمى باراباس ، فبينما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس :

من تريدون أن أطلق لكم . باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟

فحرض رؤساء الكهنة جموع الشعب على المطالبة بباراباس وإهلاك يسوع.

ولما رأى بيلاطس إصرار الكهنة والجموع على صلب المسيح أخذ ماء وغسل يديه أمام الجميع قائلاً : إنى برىء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم .

فأجاب جميع الشعب وقالوا :

دمه علينا وعلى أولادنا .

حينئذ أطلق لهم باراباس ، وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب .

فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية ، وجمعوا عليه كل الكتيبة فعروه وألبسوه رداء قرمزيا ، وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه

---

(١) إنجيل متى ص٢٦ عدد ٦٣ : ٦٤ .

وقصبة في يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين : السلام يا ملك اليهود » [١] .

وصلب المسيح وصلب معه لصان ، واحد عن اليمين وواحد عن الشمال وأثناء الصلب كانوا يستهزئون به قائلين :

يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك !!

إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب !!

حتى إن اللصين اللذين صلبا معه كانا يعيرانه !!

وفى نحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً :

« إيلى . . إيلى . . لم شبقتنى ؟ » أى إلهى لماذا تركتنى ؟!

فنهض واحد من الواقفين وأخذ أسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه ، فصرخ يسوع أيضًا بصوت عظيم وأسلم الروح !!

وفى المساء جاء يوسف وتقدم إلى بيلاطس يطلب جسد يسوع ، فأمر بيلاطس أن يعطى الجسد ، فأخذه يوسف ولفه بكتان نقى ووضعه فى قبر قد نحت فى الصخرة ودحرج عليه حجرًا كبيرًا .

وفى الغد اجتمع رؤساء الكهنة إلى بيلاطس قائلين :

يا سيد، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى : إنى بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب : إنه قام من الأموات فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى .

فقال لهم بيلاطس :

« عندكم حراس ، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون ، فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر » [٢] .

---

(١) إنجيل متى ص٢٧ عدد ٢٤ : ٢٩ .

(٢) إنجيل متى ص٢٧ عدد ٦٣ : ٦٦ .

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت أم المسيح ومعها امرأة أخرى لتنظرا فى القبر وإذا بزلزلة عظيمة تحدث لأن ملاك الرب نزل من السماء؛ ومن الخوف ارتعد الحراس وصاروا كالأموات ، والتقى الملاك بالمرأتين ليقول لهما :

لا تخافا أنتما ، فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ، ليس هو هنا لأنه قام كما قال ، هلما انظـرا الموضع الذى كان الرب مضطجعًا فيه ، واذهبا سريعًا ، قولا لتلاميذه: إنه قد قام من الأموات ، ها هو يسبقكم إلى الجليل ، هناك ترونه » (١) .

وفى الطريق التقت المرأتان بالمسيح وأمسكتا بقدميه وسجدتا له . وعند جبل الجليل تقابل الأحد عشر تلميذًا مع المسيح وسجدوا له وكلمهم قائلاً :

« دفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

---

(١) إنجيل متى ص٢٨ عدد ٥ : ٧ .

عـلامة استفهام

هناك علامات استفهام كثيرة حول عقيدة الكنيسة فى صلب المسيح ورواية الأناجيل لأسطورة الصلب منها :

١ ــ اعتقاد النصارى أن الذى دل جنود السلطة على المسيح هو تلميذه «يهوذ الأسخريوطى » وأنه أخذ رشوة قدرها ثلاثون من الفضة .

وقد تنبأ المسيح وأخبر تلاميذه بذلك ، بل إنه واجه يهوذا بما يضمره قبل القبض عليه .

ومع هذا يمر الموقف دون رد فعل يتناسب مع هول الصدمة ، ويستمر المسيح فى تناول العشاء مع تلاميذه ، بل إنه يبارك هذا العشاء فيتحول إلى لحم المسيح ودمه .

أية نذالة أقبح من أن يخون التلميذ معلمه ثم يشاركه مأكله ومشربه ؟!

وأى عقوق أكبر من أن يصاب الجميع بصمت الموتى بلا محاولة لنصيحة المجرم قبل أن ينفذ جريمته ؟!

٢ ــ ذكرت الأناجيل أن أحد الحاضرين الذين شاهدوا محاكمة المسيح هو تلميذه بطرس، ولما اشتبه فى أمره أنكر ثلاث مرات وأقسم أنه لايعرف المسيح .

يقول متى [١] :

« وأما بطرس فكان جالسًا خارجًا فى الدار ، فجاءت إليه جارية قائلة : وأنت كنت مع يسوع الجليلى .

فأنكر قدام الجميع قائلاً : لست أدرى ما تقولين .

ثم إذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى ، فقالت للذين هناك :

---

(١) إنجيل متى ص٢٦ عدد ٦٩ : ٧٤ .

وهذا كان مع يسوع الناصرى .

فأنكر أيضًا بقسم إنى لست أعرف الرجل .

وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس : حقًا أنت أيضًا منهم فإن لغتك تظهرك .

فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف : إنى لا أعرف الرجل » .

خبرونى بالله عليكم :

أى جبن هذا ؟

بل آية خيانة هذه ؟

تلميذ يقسم كذبًا ويلعن معلمه وينكر صلته به ، هل يؤتمن بعد ذلك على رسالة معلمه ؟

٣ ــ عند وصول المسيح إلى حضرة الوالى « بيلاطس » ارتفعت صيحات الكهنة وجموع الشعب مطالبة بصلب المسيح ورفض الجميع طلب الصفح عنه ، وقد تأكد الوالى أن هذا المسيح برىء فأخذ ماء وغسل يديه قائلاً : إنى برىء من دم هذا البار .

أى خلط هذا ؟

وهل كان الوالى فى برج عاجى لا يسمع ولا يرى ما يجرى فى ولايته ؟

وإذا تأكد الوالى من براءة المسيح فهل كان عاجزًا عن وقف التنفيذ ؟

وإذا كان هذا الوالى هو الذى أمر بصلب المسيح وتنفيذ الحكم فهل يكفى أن يغسل يديه فى محاولة ساذجة للتنصل من تبعة الحكم ؟!

٤ ــ إن اعتقاد النصارى أن المسيح إله أو ابن إله أو ثالث ثلاثة .

فيالهول الموقف . . . !!

كيف يتصور أن يبصق فى وجه المسيح ويلطم ثم يجلد ويساق وفوق رأسه

إكليل من الشوك ليصلب ؟!

وكيف يستسيغ عقل أن يصرخ الإله أو ابن الإله قائلاً :

إلهى . . . إلهى لماذا تركتنى ؟

أى إله هذا الذى يصاب بالفزع والهلع والكرب العظيم ثم يسلم الروح ؟ ومن هو الإله الأعلى الذى يخاطبه هذا الإله المكروب ؟!

٥ ــ إن الأناجيل الأربعة تناقضت تناقضًا بينا حول رواية أسطورة الصلب ، وما من واقعة من الوقائع المروية إلا وتختلف من إنجيل لآخر .

وقد تعقب الإمام ابن حزم الأندلسى كثيرًا منها ، ويكفى أن نشير إلى ما كتبه عن رواية الأناجيل لقيامة المسيح :

« قال أبو محمد [١] :

فاعجبوا لهذه القصة وما فيها من الكذب والشنع :

* يقول متى : إن مريم ومريم أتتا إلى القبر عشاء ليلة السبت التى تصبح فى يوم الأحد فوجدتاه قد قام .

ويقول مارقش (مرقس): إن مريم ومريم وغيرهما أتين إلى القبر بعد طلوع الشمس من يوم الأحد فوجدتاه قد قام قبل ذلك.

ويقول لوقا : إن النسوة أتين إلى القبر بكرة يوم الأحد، فوجدنه قد قام والظلمة لم تنجل بعد .

فهذه كذبات منهم فى وقت بلوغهن إلى القبر ، وفيمن جاء إلى القبر أمريم وحدها ؟ أم مريم ومريم أخرى معها؟ أم كلتاهما ومعهما نسوة أخر ؟!

* ويقول متى : إن مريم ومريم رأتا الملك إذ نزل من السماء ورفع الصخرة بحضرتهما بزلزلة عظيمة ، وصعق الحرس ، وقال الملك للمرأتين : لا تخافا ، إنه قد قام .

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ٢/ ١٣١ ، ط دار عكاظ ١٤٠٢ هـ .

ويقول مارقش : إن النسوة وجدن الصخرة قد قلعت بعد ، وأنه وقف إليهن رجلان مبيضان فأخبراهن بقيامه .

ويقول يوحنا : إن مريم وحدها أتت ووجدت الصخرة قد قلعت ، ولم تر أحدًا ، ورجعت حائرة ، فأخبرت شمعون ويوحنا حاكى القصة فنهضا معًا إلى القبر فلم يجدا فيه أحدًا ، وانصرفا فالتفتت هى فإذا بالمسيح نفسه واقفًا ، وسلم عليها وأخبرها بقيامه .

فهذا كذب آخر فى وقت قلع الصخرة ، وهل وجد عند القبر ملك واحد ؟ أم ملكان اثنان ؟ أم لم يوجد فيه أحد أصلاً ؟!

* ويقول متى : إن المرأتين أتتهم بوصيته فصدقوهما وأنهم نهضوا كلهم إلى جلجال وهنالك اجتمعوا معه .

ويقول مارقش : إنه تراءى لمريم وأخبرتهم ولم يصدقوها ، ثم تراءى لاثنين فأخبراهم فلم يصدقوهما ، ثم نزل عليهم كلهم .

ويقول لوقا : إنهم لم يصدقوا النساء وأن باطرة نهض إلى القبر ولم يجد شيئًا ولا رأى أحدًا ، وأنه نزل بأورشليم فرأوه حينئذ وأكل معهم الحوت المشوى ، وهذه صفة من لم يقصده إليهم إلا الجوع وطلب الأكل .

ويقول يوحنا: إنه تراءى لعشرة منهم حاشا «طوما» ثم تراءى لهم ولطوما.

قال أبو محمد : ومثل هذا الاختلاف فى قصة واحدة عن مقام واحد كذب لا شك فيه ، لا يمكن أن يقع من معصومين ، فصح أنهم كذابون لا يتحرون الصدق فيما حدثوا به وما كتبوه .

* ثم فى هذه القصة قول مارقش عن المسيح إنه بعد موته قبح كفر تلاميذه وقسوة قلوبهم ، فإذا شهد المسيح على تلاميذه بعد رفعه بالكفر وقسوة القلوب فكيف يجوز أخذ الدين عنهم ؟ أم كيف يجوز أن يعطى الإله مفاتيح السموات ويولى منزلة التحريم والتحليل كافرًا قاسى القلب ؟!

فكل هذا برهان واضح على أن أناجيلهم كُتُب مفتراة من عمل كذابين كفار . . . » .

آدم
بين المعصية والتوبة

اتفقت كلمة أهل الأديان قاطبة على أن آدم أبو البشر ، وأنه الإنسان الأول الذى بدأ التناسل البشرى ، ومنه تكاثرت الذرية .

وهناك اتفاق ــ أيضًا ــ على أن آدم سكن الجنة ومعه زوجه بعد أن سجدت له الملائكة وأبى إبليس أن يكون مع الساجدين ، فطرد إبليس من الجنة مرجوما تلاحقه اللعنة إلى يوم الدين .

لكن إبليس اللعين تحايل على آدم حتى أقنعه أن يأكل من الشجرة التى نهاه الله تعالى عنها ، فتلى ذلك خروج آدم من الجنة وهبوطه إلى الأرض .

وفى تفاصيل ذلك تختلف المذاهب وتتعدد الاتجاهات . ولكن القصص الحق الذى ذكره القرآن المجيد حول هذه القصة يمكن أن نشير إليه كما يلى :

شرف الله تعالى آدم وبنيه بأن ذكرهم فى الملأ الأعلى قبل خلقهم ، فقال جل شأنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] .

ومعنى الخليفة أنه يخلف بعضهم بعضًا جيلاً بعد جيل ، والمقصود هو آدم وذريته وليس آدم وحده .

وتساؤل الملائكة إنما هو عن حكمة هذا الخلق ، وليس اعتراضًا على فعل الله عز وجل ، ولا حسدًا لآدم ، ولا عجبًا بأنفسهم .

ومعرفة الملائكة بصفات الخليفة التى قد توجد فى بعض بنى آدم إنما هو استنتاج قائم على مجموعة اجتهادات منها :

١ ــ استنتاج من طبيعة الخلقة ، فقد صرح الله تعالى لهم بهذه الطبيعة فقال : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٨] .

﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ [ص : ٧١] .

فطالما كان الخلق من طين فيمكن أن تتغلب على المخلوق بعض صفات الظلمة التى تلازم الطين .

٢ ــ استنتاج من لفظ « خليفة » بمعنى الحاكم الذى يفصل بين الخصوم ويظهر الحق ويرد المظالم .

٣ ــ استنتاج من قياس على خلق سابق كالجن، فهم أسبق وجودًا من الإنس ، ورويت آثار تفيد أنهم سكنوا الأرض وأفسدوا فيها (١) .

ثم بين القرآن أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها ، أى خصائص عناصر مملكته الأرضيه وما فيها ومن فيها حتى تتهيأ ملكاته لاستثمارها على الوجه الأكمل ، والانتفاع بها انتفاعًا كبيرًا .

واستقبل هذا الإنسان الأول استقبالاً عظيمًا ممن سبقه فى الوجود ، فأمر الله تعالى الملائكة وإبليس ــ ممثل الجن ــ بالسجود لآدم عليه السلام سجود تحيه وتقدير .

واستجابت الملائكة استجابة فورية : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [ص : ٧٣] ورفض إبليس أن يكون مع الساجدين ، وقاس قياسًا فاسدًا فى مقابلة النص فقال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [ص : ٧٦] .

فليس هناك خيرية ذاتية، وإنما هى مرهونة باختيار الله واصطفائه كما قال جل شأنه :

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص : ٦٨] .

---

(١) راجع بعض التفصيلات فى تفسير ابن كثير : ٦٩/١ .

وهناك تحددت العلاقة ، وظهرت العداوة من إبليس لآدم ، وأصر عليها إصرارًا ، وتمرد على الأمر تمردًا :

﴿ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ . قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ . ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الاعراف : ١٤ ــ ١٧] .

وحكم الله ــ وهو خير الحاكمين ــ بطرد إبليس من الملأ الأعلى مذءومًا مدحورًا ، وكافأ الله تعالى آدم وزوجه بإسكانهما الجنة ، وإباحته الأكل منها حيث شاءا ، ونهاهما عن الاقتراب من شجرة فيها :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٣٥] .

وجمهور المفسرين على أن هذه الجنة هى جنة الخلد التى هى دار الثواب للمؤمنين .

والقول بأنها بستان أرضى لا يستند إلى دليل شرعى ، وهو رجم بالغيب .

وجو القصة وإطارها العام يؤكد رأى الجمهور ، فالله تعالى يقول : ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[البقرة :٣٦] .

فلو كانوا فى بستان أرضى لما استقام هذا التعبير ؛ لأن المستقر والمتاع إلى حين ثابت لهم قبل الهبوط وبعده .

وقوله جل شأنه : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الاعراف : ١٣] ، صريح فى النقلة من جنة الخلد إلى الأرض ، ولو كان إبليس فى بستان أرضى لما صحت التفرقة بين هذا البستان وبين بقاع الأرض الأخرى .

وقوله سبحانه : ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ [الاعراف : ٢٥]

يؤكد النقلة الكبرى من جنة الخلد حيث لا موت إلى الأرض حيث الحياة والموت والبعث .

ولو كانوا فى بستان أرضى لاستوى الأمران ، وما اختلف الحال داخله وخارجه .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ ، ١٢٤] ، واضح جلى فى حقيقة النقلة فإن الجنة لارسل فيها ولا كتب ، والأرض هى محل الرسالات وتنزلات الوحى للهداية والرشاد .

والأمر لا يختلف بين البستان الأرضى وبين بقية أركان الدنيا فى حاجة البشر للرسالات .

وبعدما تم الفصل بين آدم فى الجنة منعما وبين إبليس مطرودًا منها ، تحايل إبليس أن يوقع آدم فى المعصية ، وأكد له بالقسم المغلظ أن لهذه الشجرة المنهى عنها خصوصية تقربه من ربه وتجعله خالدًا فى النعيم .

قال جل شأنه : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ . فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ . . . ﴾ [الاعراف : ٢٠ ـ ٢٢] .

وقد يتساءل البعض : كيف وسوس إبليس ـ وهو مطرود ـ لآدم وهو فى الجنة ؟

وأظن أن هذا التساؤل أصبح غير وارد الآن ، بعد أن تيسرت سبل الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وأضحى الناس يتناجون عبر القارات والمحيطات وأجواء الفضاء .

وأكل آدم وزوجه من الشجرة ، وبدت لهما سوءاتهما فأدركا الزلة التى وقعا فيها ، فالتجأ كل منهما إلى الله تعالى فى ضراعة ضارعة :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

واستجاب الله الدعاء الضارع ، وبدأ آدم رسالته على الأرض فى طهر طاهر ونقاء نقى .

قال جل شأنه : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢٢] .

تتوارد هنا تساؤلات :

هل خرج آدم من الجنة مطرودًا ؟

هل هبط آدم إلى الأرض ملعونا مدحورًا ؟

باستعراض صدر هذه القصة فى سورة البقرة نلمح أن آدم خلق للأرض وعمارتها، ولم يخلق ليقيم فى الجنة ونعيمها ، وما مرحلة السكن فى الجنة إلا استطلاع للملك والملكوت ، وتعرف على الملأ الأعلى بما فيه ومن فيه .

فهى مرحلة تمهد للخلافة فى الأرض ، فقد علم الله الأسماء كلها لآدم إشارة إلى مجال عمله وتفاعله ، وأمر الملائكة بالسجود تكريما لآدم وذريته ، وعندما تمرد إبليس على السجود ظهرت العداوة وتحددت العلاقة بين الجن والإنس ، وسكن آدم فترة فى الجنة حتى تحيا فى وجدانه ويستعد للعودة إليها ثوابًا وفضلاً ، وفى الأمر بالأكل من ثمار الجنة والنهى عن شجرة منها تجربة عملية للتكليف الشرعى لآدم وذريته ، وما يترتب عليه من الطاعة والمعصية ثم الثواب والعقاب .

ومما يجب التنبيه إليه أن المعصية هى مخالفة الأمر بقصد المخالفة ونية التمرد ، وقد رفع الله الخطأ والنسيان والإكراه عن الإنسان فلا يؤاخذه به ، حتى ولو كان كفرًا .

وقـال الله تعـالى : ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

وفى الدعاء الذى علمنا القرآن قوله :

﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

وهناك تفرقة شرعية بين القتل عمدًا والقتل خطأ . . . فنقرأ مثلاً فى القتل العمد :

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٩٣] .

ونقرأ فى القتل الخطأ :

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا ﴾ [النساء :٩٢] .

فليس مجرد شكل المخالفة يعد معصية ، كما أنه ليس مجرد شكل الاستجابة يعد طاعة ، وإلا فماذا نحن قائلون فى المنافقين والمخادعين والمرائين ؟!

إن القرآن العظيم يؤكد أن معصية آدم كانت نسيانًا للعداوة مع أبليس فقال جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] .

وهذا النسيان للعداوة جعل آدم يظن ألا أحد يحلف بالله حانثا ، فتقبل آدم نصيحة إبليس وخدعته عندما قاسمه بالله أن الهدف من الأكل هو مرضاة الله بأن يكون ملكًا أو يكون من الخالدين فى الطاعة والنعيم .

ولعل آدم عندما قبل هذه النصيحة الخادعة تأول النهى على أن الإشارة لشجرة بعينها لا لنوعها .

وأيا ما كان فإن القصد إلى المعصية غير متحقق .

وإنما سمى القرآن فعل آدم معصية فى قوله جل شأنه : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] .

فهو بالنسبة لعظمة الرب الكبير المتعال ، وعبودية الإنسان الضعيف . وكما قيل : فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين .

وعلى قدر صلة الإنسان بربه يكون لومه لنفسه وحسابه لها ، والرسل أعرف الناس بجلال الله وكماله ؛ ولذا عندما حدث شكل المعصية لآدم التجأ إلى ربه بالتوبة ، وتضرع مخلصا ، فتقبل الله منه ، وعفا عنه وتاب عليه .

قال الله سبحانه : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة : ٣٧] .

وفى التعبير بتلقى الكلمات من الله تأكيد لما قلناه من أن مرحلة السكن فى الجنة كانت تمهيدًا للخلافة فى الأرض ، وأن المسألة من أولها إلى آخرها ترتيب إلهى حكيم .

وقال جل شأنه فى سورة أخرى : ﴿ قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وفى هذا النص إثبات للجانب الإنسانى المقبل على الله عز وجل .

وفى تعبير آخر معجز نقرأ قوله سبحانه : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه : ١٢١ ، ١٢٢] .

وجو التعبير هنا يخرجنا من ثنائية الموقف بين تلقى الكلمات والنفس اللوامة ؛ ليسمو بنا إلى أفق الفضل الإلهى العميم فى الاجتباء والتوبة والهداية .

لقد هبط آدم إلى الأرض طاهرًا مجتبى ، ونبيًّا رسولاً يتحمل رسالة إلهية إلى بنيه وذريته .

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا

هُمْ يَحْزَنُونَ . والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
[البقرة : ٣٨ ، ٣٩] .

وبهذا تنهـار كل دعوى باطـلة حول الخطيئة الأولى ، والفداء والصلب ، فليس هناك خطيئة لآدم عليه السلام .

وليس هناك ذنب موروث .

وليس هناك صلب للمسيح .

فرضيــات

أحيانًا فى مجال الحوار نفرض المستحيل لنبين ما يترتب على فرض وقوعه من مفاسد وأخطاء ، وهذا أسلوب سلكه القرآن فى أكثر من موضع ، فقال جل شأنه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

فلو سلمنا جدلاً أن آدم ارتكب معصية لم تغفر ، وأنها ظلت تطارده حتى هبط إلى الأرض مذمومًا مدحورًا ، فهل الذنب يورث ؟!

وهل يتحمل الأبناء وزر آبائهم ؟!

إن العقيدة الإسلامية فى صفائها ووضوحها ، تؤكد أن كل إنسان يولد على الفطرة ، وأن الانحراف طارئ على النفس الإنسانية ، وأن البيئة الفاسدة هى المسؤولة عن تلوث الفطرة .

وأن الله تعالى فى عدله المطلق ، لا يؤاخذ إنسانًا بذنب آخر ، قال جل شأنه : ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا . اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا . مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء ١٣ ــ ١٥] .

ويؤكد القرآن أن تلك القضية المتعلقة بمسؤولية الإنسان وحده ــ التقى عليها هتاف الدين فى كل عصر ، وبلغها رسل الله جميعًا ، فقال :

﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ . وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ . أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ . وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ . ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَىٰ ﴾ [النجم:

٣٦ ـ ٤١] .

وقبيح الأمر وغريبه أن النصارى يحمِّلون البشرية وزر أبيهم آدم، ثم يحملون الإله نصيبا من هذا الوزر ، فيعتقدون أنه حل فى المسيح أو اتحد معه ليشارك البشرية هذه المأساة .

ومن المقطوع به أن الإله الحق كامل الإرادة والقدرة ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، فلو سلمنا جدلا وقوع المعصية وتوارثها فى بنى الإنسان جيلا بعد جيل ، ألا يكفى أن يقول الإله لهؤلاء المعذبين فى الأرض : اذهبوا قد غفرت لكم . . . !!

وحيث تكفى الكلمة يكون الفعل فى غير موضعه ، فما بال هذه المسرحية الأليمة : يحبس الإله فى بطن مريم العذراء ، ليولد طفلا فشابا فكهلا ، ثم يلقى هذا المصير المشؤوم ؟ !

ولو سلمنا جدلا بكل هذه الأساطير، فهل يا ترى تقدم المسيح ليصلب تكفيرا لخطايا البشر وفداء ، أم أنه اعتقل وسيق بامتهان، ووضع الشوك على رأسه، وتجرع السم الزعاف وهو يتأوه حتى أسلم الروح ؟!

إن صاحبى يقول :

إن موت المسيح على الصليب كان مشرفا ؛ وذلك لأن المسيح مات من أجل خطايا العالم كله . . . !!

لو سلمنا بهذا المنطق الكنسى لكان على المسيح أن ينتحر ليكون موته مشرفا . . . !!

وصاحبى يتباهى بأن المسيح مات من أجل خطايا العالم.

وبعبارة أخرى يمكن أن يصير تعبيره :

إن الإله مات من أجل خطايا العالم . . . !!

وأظن أن الفيلسوف الألمانى «نيتشه» عندما نادى بموت الإله، إنما كان يردد

عبارة الكنيسة .

ومرة أخرى فى سلسلة التسليم الجدلى لو أن المسيح مات بعد اعتقاله وصلبه من أجل الفداء ، فما جزاء الذين أقدموا على هذه الجريمة النكراء . . . بل هذا العمل المشرف فى منطق الكنيسة ؟!

إن اليهود ــ بهذه الفلسفة الكنسية ــ قدموا للعالم أجمع أكبر خدمة عرفتها البشرية ، ألا وهى التخلص من آثار ملاحقة الجريمة الأولى لبنى الإنسان.

لكن يمنعنا من الاستمرار فى مدح اليهود هذه المقالة على لسان المسيح وهو فى النزع الأخير :

«يا أبتاه . . . اغفر لهم فإنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (١) .

إن المغفرة تكون عن خطيئة ارتكبها اليهود. . . !!

ونتساءل مع الإمام ابن حزم :

« هل أجيبت دعوته هذه أم لا ؟

فإن قالوا : لم تجب دعوته .

قلنا : فليس فى الخزى أكثر من إله يدعو فلا يستجاب له ، ولا فى النحس فوق هذا .

وعلى هذا فما بيده من الربوبية إلا كذنب ثور شارد فى جدور ، كما بيد سائر المخلوقين يدعو فيجاب مرة ولا يجاب مرة .

وإن قالوا : بل أجيبت دعوته.

قلنا لهم : فاعلموا أنكم وأسلافكم كلكم فى سبكم اليهود الذين صلبوه ظالمون لهم ، وكيف يستحلون سب قوم قد غفر لهم إلههم ، وأسقط عنهم الملامة فى صلبهم له .

---

(١) إنجيل لوقا ص ٢٣ عدد ٢٤ .

أما لكم عقول تعرفون بها مقدار ما أنتم عليه من الضلال الذى ليس فى العالم أحد مثله ، بل كل ضلالة فهى دونه » [1] .

ويمكن أن نضيف إلى مقالة ابن حزم مسألة أخرى وهى :

هل الفداء والتكفير كان من أجل الناس جميعًا بما فيهم الذين صلبوا المسيح ونكلوا به أم أنهم خارجون عن الدائرة ؟

فإن كان من أجل الناس جميعا بما فيهم مقترفو الجريمة فدعاء المسيح لهم بعد ذلك عبث وتحصيل حاصل.

ثم إن خطيئة فكرية ترتكبها الكنيسة عندما تزعم أن المسيح مات من أجل خطايا العالم بهذا التعميم ، مع أن نظرة سريعة لما يجرى فى العالم قديما وحديثا تجلى بوضوح أن الجريمة والخطيئة على أبشع الصور وآلمها ما زالت قائمة فى البشر ، ولم تخل أمة من أمم الأرض من المعصية والكفر ، ولم تمنع مسرحية الصلب والفداء شيئا من ذلك .

فهل يا ترى تقع هذه الجرائم مغفورا لأصحابها ؟!

إن الكنيسة ــ بهذه الفلسفة الخاطئة ــ تشجع الجريمة والمجرمين وتدعو إلى الإثم والفواحش .

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل : ٢ / ٦٠ ، ط دار الفكر.

طـريــق الخـلاص

ساءلنى صاحبى بتحدٍ هذين السؤالين :

ـــ ما حكم الله على الإنسان الخاطئ ؟

ـــ ما طريق تخليص الإنسان من خطيئته ؟

ثم بادر بالإجابة قائلا :

إن حكم الإنسان الخاطئ هو نار جهنم ، وبذا تدخل البشرية كلها نار جهنم ؛ لأنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ ، وليس الحسنات تغفر السيئات، فلو صنع الإنسان حسنات طوال حياته وعمل خطيئة واحدة فقط فلن يرث النعيم .

هذا ما قاله الله فى كتابه المقدس . . . !!

وأقول :

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٥] .

إن الله هو رب العالمين ، والربوبية إنعام وتفضل ، والإنسان لا يحصى نعم الله عليه ، وإن من صفات الله عز وجل العفو والمغفرة وقبول توبة التائبين .

وكل مناهج التربية قائمة على تصحيح السلوك وتقويم الخلق، وتبصير السالكين ، ولا يستقيم منهج للتربية بغية إقالة العثرة والصفح عن الزلة .

ومنهج الله هـو خيـر المناهـج : ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] .

وقد خلق الله الإنسان بطبيعة غير طبيعة الملك وغير طبيعة الحيوان الأعجم.

فالملك مفطور على الطاعة ، والحيوان الأعجم خارج عن دائرة التكليف، والإنسان وحده هو حامل أمانة التكليف ومسؤولية تطبيق الشريعة الإلهية.

والتكليف هو إلزام ما فيه كلفة ومشقة ، وهو قائم على الأمر والنهى، ولولا أن الإنسان مستطيع للفعل والترك ، وجائز عليه الخطأ والصواب لما صح تكليفه شرعا، ولما تعاقبت عليه الرسالات الإلهية تضىء له الطريق وتنقذه مما قد يتردى فيه .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٧ ــ ١٠] .

ومواجهة انحرافات البشر لها جانبان فى الإسلام :

١ــ جانب تربوى قائم على الترغيب والترهيب، وتأصيل حب الخير فى النفس ، ومراقبة الله عز وجل مراقبة تنبع من داخل النفس الإنسانية.

كما حكى القرآن عن وصية لقمان لابنه :

﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ١٦] .

٢ ــ مطاردة شواذ المجتمع عن طريق الحدود والتعزيرات ، فمن سرق قطعت يده ، ومن زنا جلد مائة جلدة إن كان غير محصن ، أو رجم إن كان محصنًا ، ومن قتل بغير حق قتل ، ومن قطع الطريق وروع الآمنين قتل أو صلب أو قطعت يده ورجله من خلاف.

وهكذا كانت الحدود زواجر تمنع انتشار الجريمة ، وتستأصل بذورها الفاسدة.

ثم إن الحدود ــ أيضا ــ كفارات تجبر الذنب وتصلح حال النفس، والله تعالى أكرم من أن يضاعف العقوبة على عبده فى الآخرة .

ومن الملاحظ أن الحدود التى أقيمت على بعض الناس فى العهد الأول

للإسلام كانت قائمة على اعتراف بادر إليه صاحب الذنب ؛ تطهيرًا لبدنه، وتكفيرًا لخطيئته حتى يلقى الله طاهرًا مطهرًا .

ونسوق بعض هذه الوقائع لترى أثر الإيمان فى النفس وكيف يتغلب على نزعات الإثم :

* ففى صحيح مسلم بسنده عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال:

جاء ماعز بن مالك إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله ، طهرنى، فقال: «ويحك، ارجع فاستغفر الله وتب إليه ».

فرجع غير بعيد ثم جاء فقال : يا رسول الله ، طهرنى ، فقال رسول الله ﷺ : « ويحك ، ارجع فاستغفر الله وتب إليه ».

فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله ، طهرنى ، فقال النبى ﷺ مثل ذلك . حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله ﷺ :

« فيم أطهرك ؟ » .

فقال : من الزنا .

فسأل رسول الله ﷺ : « أبه جنون ؟ » .

فأخبر أنه ليس بمجنون .

فقال : « أشرب خمرًا ؟ » .

فقام رجل فاستنكهه [1] فلم يجد منه ريح خمر.

فقال رسول الله ﷺ : « أزنيت ؟ ».

فقال : نعم .

فأمر به فرجم .

فكان الناس فيه فريقين ، قائل يقول : لقد هلك ، لقد أحاطت به

(١) أى شم رائحة فمه .

خطيئته، وقائل يقول : ما توبة أفضل من توبة ماعز، أنه جاء إلى النبى ﷺ فوضع يده فى يده ، ثم قال : اقتلنى بالحجارة .

فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة ، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس فسلم ثم جلس، فقال : « استغفروا لماعز بن مالك » .

فقالوا : غفر الله لماعز بن مالك . فقال رسول الله ﷺ : « لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم ».

* وفى صحيح مسلم ــ أيضا ــ بسنده عن عمران بن حصين : أن امرأة من جهينة أتت نبى الله ﷺ وهى حبلى من الزنا ، فقالت : يا نبى الله ، أصبت حدا فأقمه علىّ . فدعا نبى الله ﷺ وليها فقال : « أحسن إليها، فإذا وضعت فائتنى بها ».

ففعل ، فأمر بها نبى الله ﷺ فشكت [1] عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت فصلى عليها .

فقال له عمر : تصلى عليها يا نبى الله وقد زنت ؟!» .

فقال : « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ؟!» .

ومن ارتكب إثما أو خطيئة لا تقع تحت حد من الحدود ، أو ستره الله تعالى فلم يكشف ستره ، فإن طريق الخلاص فى حقه قائم على مراحل متعاقبة متلازمة هى :

١ ــ الندم على ما فرط منه فى جنب الله تعالى.

٢ ــ الإقلاع عن المعصية فلا يقيم عليها.

٣ ــ العزم على عدم العود إلى ما يغضب الله سبحانه.

٤ ــ رد الحقوق لأصحابها إن كانت المعصية تتعلق بحق من

---

(١) جمع عليها ثيابها وشدت بحيث لا تنكشف عورتها.

حقوق العباد.

٥ ـ الإكثار من العمل الصالح وطيبات السلوك، والإقبال على الله بكنه الهمة ، وكامل العزيمة ، وصدق التوجه.

وليس فى دين الله معصية لا تقبل التوبة منها ، ولا ذنب لا يغفره الله لمستغفر ، وكل من أقبل على الله بتوبة نصوح غفر الله له ، وقبل توبته.

فالكافر يسلم :

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

والعاصى يتوب :

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١] .

والله تعالى لا يدع مذنبا على يأس ، ولا عاصيا على قنوط، بل النداء العام الخالد الذى رفعه القرآن :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

ومشكلة الكنيسة أن انحرافات الناس الاجتماعية والخلقية لا تجد الحكم الرادع فى شريعتهم ، فلا شريعة لهم أصلا، وعقيدتهم قائمة على إعطاء ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، فهناك انفصال بين أحكام الناس فى معاشهم وبين أحكام الناس فى معادهم، ولكل سلطة وسيف ، وقد استغل الكهنة هذه السلطة غير المقننة ، فكان ما عرف بكرسى الاعتراف، وصكوك الغفران، وقرارات الحرمان. . . إلخ.

ولست أدرى إذا كان العاصى ـ فى عقيدة الكنيسة ـ لابد له من نار جهنم ، وإذا كانت الحسنات لا تمحو السيئات، فلماذا يقوم رجال الكنيسة بعمليات التنصير لدى رعاع الناس ، مستغلين حاجتهم المادية والصحية ؟!

هل لو تنصر المرء تقبل توبته عندكم يا من تملكون صكوك الغفران ؟!

يا صاحبى :

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [هود: ١١٤] .

ذلك منطق الدين والعقل.

وأصل الاعتقاد والتربية، وقانون المعاملة والسلوك .

فالله جل جلاله هو الرحمن الرحيم ، وهو العفو الغفور ، وهو التواب الحليم ، وهو الرؤوف الودود .

ومن غريب المنطق وشاذ الفكر أن صاحبى يصر على ما يسميه الفداء العجيب، ويجعله صورة أرقى لتقديم الذبائح والقرابين ، ويقارن بين ما قدمه شعب اليهود من ذبائح لغفران الخطايا وبين ما قدمه المسيح من نفسه فداء عن العالم كله على الصليب .

أى هذيان هذا ؟!

يا حماة النصرانية :

رفقا بمسيحكم ، ذلك الإله المصلوب . . . !!

ورفقا بالإنسان ، ذلك المخلوق المظلوم . . . !!

واذبحوا ما شئتم من البقر والغنم وتصدقوا بها على فقراء البشرية ، فإن الله لن ينـاله شىء من لحومها ، ولكنه سبحـانه يغفر لمن تاب ويتقبل من المتقين ، كما قال جل شأنه : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

عـذاب الله

ألقى صاحبى برأى عشوائى شاذ فقال :

إن حكم الإنسان الخاطئ هو نار جهنم ، وبذا تدخل البشرية كلها نار جهنم؛ لأنه لا يوجد إنسان معصوم من الخطأ .

وأقول :

مما لا ريب فيه أن الله هو الغفـور الرحيم ، وأن عـذابه هو العـذاب الأليم ، والطمع فى عفو الله دون أخذ بالأسباب ومع الانهماك فى المعاصى هو لون من إغواء الشيطان.

ويجب أن ندرك أن الله تعالى فى عفوه صاحب الفضل المطلق ، وفى عقابه لا يظلم مثقال ذرة .

ويتجلى الفضل الإلهى فيما يلى :

١ ـ يضاعف الله تعالى الحسنة إلى عشر أمثالها، وأحيانا إلى سبعمائة ضعف ، ويزيد لمن يشاء أضعافًا كثيرة ، قال جل شأنه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] .

وفى الحديث الشريف المتفق عليه : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى قال : « إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة .

وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها

فعملها كتبها الله سيئة واحدة ».

٢ ــ يغفر الله لمن تاب واهتدى ولو بلغت ذنوبه عنان السماء، قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢] .

وفى الحديث الشريف عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال الله تعالى : يا بن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى.

يا بن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك .

يا بن آدم ، إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة » . رواه الترمذى ، وقال: حسن صحيح.

٣ ــ يعفو الله تعالى عمن يشاء لحكمة بالغة ، وقد يرتبط هذا العفو بعمل ضئيل من أعمال الخير، قد لا يلتفت إليه المرء يحسبه هينا ولكنه يزن عند الله الشيء الكثير.

وقد أخبرنا الرسول الكريم : أن رجلا سقى كلبا فغفر الله له، وفى رواية صحيحة : أن بَغِيا هى التى سقت الكلب فغفر الله لها .

ففى صحيح مسلم بسنده عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى . فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له ».

قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟

فقال : « فى كل كبد رطبة أجر ».

وفى رواية أخرى فى صحيح مسلم : أن امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر ، وقد أدلع لسانه من العطش ، فنزعت له بموقها[1] فغفر لها».

---

(١) الموق بضم الميم : هو الخف ، فارسى معرب.

وأخبر الصادق المصدوق ﷺ كما فى صحيح مسلم : « أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالا ، فقال له : ماذا عملت فى الدنيا (قال : ولا يكتمون الله حديثا) قال : يارب ، آتيتنى مالك فكنت أبايع الناس ، وكان من خلقى الجواز ، فكنت أتيسر على الموسر وأنظر المعسر . فقال الله : أنا أحق بذا منك ، تجاوزوا عن عبدى».

٤ ــ يمهل الله تعالى الإنسان ، ويدع له الفرصة تلو الفرصة ليغتنمها ويرجع إلى ربه بقلب منيب ، ولا يعاجل بالعقوبة ليتذكر من يتذكر ، قال جل شأنه : ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾ [فاطر : ٤٥] .

وفى حديث شريف يبين رسول الله ﷺ عفو الله وكرمه وجوده على عباده فيقول فيما يرويه عن ربه عز وجل :

« يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما ، فلا تظالموا.

يا عبادى ، كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم .

يا عبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم .

يا عبادى ، كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم .

يا عبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ، فاستغفرونى أغفر لكم .

يا عبادى ، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى.

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك من ملكى شيئًا.

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب

رجل واحد ، ما نقص ذلك من ملكى شيئا .

يا عبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل واحد مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

يا عبادى ، إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » . رواه مسلم.

هذا ويتجلى العدل الإلهى فيما يلى :

١ ــ خلق الله الإنسان وأمده بالنعم التى لا تعد ولا تحصى، وشأن النعمة أن تشكر فلا تجحد ، وشأن المنعم أن يعبد فلا يكفر.

٢ ــ منح الله الإنسان العقل المميز ؛ ليرى الخير من الشر ،و يعرف الحق من الباطل.

٣ ــ بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، يوضحون معالم الهدى ، ويدعون إلى الفضيلة ويجاهدون فى سبيل القيم العليا .

فمن أعرض بعد ذلك ونأى فلا يلومن إلا نفسه ، وعقابه حينئذ هو عدل الله المطلق .

قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغ ﴾ [الانعام : ١٩] .

٤ ــ إن عقاب الله مبنى على أساس المماثلة فى الجزاء دون مضاعفة ، قال تبارك وتقدس : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [الانعام : ١٦٠] .

٥ ــ الإسلام يقسم الخطيئة أو المعصية إلى ثلاثة أنواع ، لكل منها عقاب

خاص :

أ ــ خطيئة كفر بالله ، أو برسول من رسله ، أو إنكار لكتاب من كتبه المنزلة ، أو تكذيب لما علم من الدين ضرورة .

فمن مات على كفر فقد حبط عمله، وحقت عليه اللعنة الأبدية ، واستقر فى نار جهنم ، لا يموت فيها ولا يحيا ، خالدًا مخلدًا فيها أبدًا.

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [النور : ٣٩] .

وقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٦] .

ب ــ خطيئة كبيرة من كبائر الإثم والفواحش ، وهى ما ورد فيها حد أو وعيد شديد كالزنا والسرقة وأكل مال اليتيم وعقوق الوالدين . . . إلخ .

فمن مات على كبيرة ــ مع إيمانه الصحيح ــ فأمره مفوض إلى الله تعالى، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه بقدر معصيته ، ولا يخلد فى نار جهنم.

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً ﴾ [النساء : ١١٦] .

فما دون الشرك هو فى محل المشيئة الإلهية .

وقال ﷺ فى صحيح الحديث : « من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، وإن زنا وإن سرق ».

والحديث لا ينفى التعذيب غير الأبدى.

جـ ــ خطيئة صغيرة ، وهى ما دون الكبائر ، ولا يكاد يخلو منها بشر ،

وقد تفضل الله على عباده فلا يؤاخذ عليها طالما اجتنبت الكبائر ، وأتبعها الإنسان بعمل صالح .

قال تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] .

وقد سميت الصغائر فى القرآن باللمم فقال : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ [النجم : ٣٢] .

واللمم : ما يعمله الإنسان المرة بعد المرة ولا يقيم عليه ، يقال: ما فعلته إلا لمما أو لماما .

ومن نماذج العمل الصالح الذى يجب ما قبله من الصغائر : الوضوء والصلاة والصيام والجمعة والعمرة والحج . . . إلخ.

قال عليه الصلاة والسلام كما فى صحيح مسلم : « من توضأ نحو وضوئى هذا ، ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وبهذا التفصيل الدقيق المحكم فى منطق الإسلام يظهر بجلاء ــ بالمقابلة ــ مدى العنت والظلم عندما يحكم دعاة الصليب بأن الإنسانية كلها معذبة فى نار جهنم .

المحاورة الثالثة:

أنا جيل البشر

* دعوى صحة الكتاب المقدس.
* العهد القديم.
* الأصل المفقود .
* مختارات.
* إلهام أم تأليف ؟
* بولس والشيطان المقدس .
* إنجيل برنابا .

دعوى صحة الكتاب المقدس

تطرق الحوار مع صاحبى إلى كتابهم المقدس ومدى التحريف الذى لحق به والتبديل الذى طرأ عليه .

وأجهد صاحبى نفسه فى سوق دلائله على صحة الإنجيل ،ونقل إلىَّ أكثر من نص مقتبس من مؤلفات يزعم أصحابها صحة الإنجيل .

قال صاحبى :

وإليك الدكتور فرانك جبلين فى مؤلفه : « استكشاف كتاب الكتب » يرد عليك ويقنعك إقناعا تاما :

١ ــ من الظواهر التاريخية التى تستحق الاعتبار أن الشعوب التى قبلت هذا الكتاب ودانت به ارتفعت وسمت على غيرها من البشر الذين رفضوه وتمحكوا فى مصدره وأهملوه ، فكان ذلك سببًا فى خسارتهم وتأخرهم وانحطاطهم ، كما هو مشاهد الآن بين الشعوب.

٢ ــ وكما كان له الأصدقاء والمحبون ، فقد قام ضده الأعداء والمناهضون الذين عملوا جهدهم على محوه من الوجود ، لا لسبب إلا أنه يبكتهم على خطاياهم وشرهم.

فلا غرو إذ قاومه الملوك واضطهده بعض العظماء.

٣ ــ لقد اشترك فى كتابة وحى الكتاب المقدس نحو أربعين كاتبًا فى عصور مختلفة ، فجاء بكتاب يحوى ستة وستين سفرا ، استغرقت كتابتها نحو ألف وستمائة سنة ،ومع ذلك نجد فيه وحدة متينة ، وتناسقًا جميلا ، ونموا مطردًا فى إعلان برنامج خلاص البشر .

٤ ــ تزداد دهشتنا من وحدة الكتاب المقدس المتينة وتناسقه العجيب إذا علمنا أن أولئك الذين اشتركوا فى كتابته بلغوا الأربعين ، وأنهم كانوا مختلفين فى الثقـافة ، متباينـين فى الأعمال التى كانوا يمارسونها والبلاد التى عاشوا فيها.

وقد كانت كتابتهم تحت تأثير ظروف مختلفة متعددة ، من دينية وسياسية واجتماعية .

فمنهـم الملك كداود وسليمان ، وراعى الغنم كعاموس ، والكاهن كزكريا، والنبى كصموئيل وأشعياء ، والمتشرع كموسى ، والقائد كيوشع، وصياد السـمك كبطرس ويوحنا ، والفيلسـوف كبولس الرسول ، والطبيب كلوقا ، ومحصل الضرائب كمتى العشار .

فكيف أمكن أولئك الكتاب على التفاوت الكبير بينهم أن تتحد كتابتهم اتحادا كبيرا عجيبا ؛ وتتناسق تناسقا مدهشا إن لم يكن روح الله هو الذى كان يملى عليهم ما كتبوه ، ويوجه أفكارهم نحو المسيح الرب الذى هو محور الوحى وروح النبوة .

٥ ــ وإذا تكلمنا عن الكتاب، فلنأت الآن إلى اللغات التى كتب بها.

لقد كتب العهد القديم باللغة العبرية حسب ما هو ظاهر فى أقدم نسخ منه، اللهم إلا القليل جدا من سفر دانيال وعزرا فهو مكتوب باللغة الآرامية ، لغة بابل القديمة .

كما أن العهد الجديد بأجمعه كتب باللغة اليونانية التى كانت لغة العالم المنتشرة فى زمن المسيح .

وبعد أن ذكر صاحبى أقوالا لبعض العلماء تمجد فى الكتاب المقدس.

طرح هذا السؤال :

كيف وصل إلينا الإنجيل ؟

ثم أجاب قائلا :

استمر نسخ الأسفار المقدسة من العهد القديم إلى أن ترجم إلى اليونانية فى مدينة الإسكندرية ٢٨٥ ــ ١٣٠ ق .م، ولما بلغت الامبراطورية الرومانية شأوا عظيمًا ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية.

فما جاء أول القرن السادس إلا وكان عدد من التراجم اللاتينية متداولا بين الأيدى.

ولقد طلب « جيروم » من البابا « داماسوس» أن يسمح بإعادة تنقيح الكتاب من الترجمة اللاتينية .

وقد انتهى « جيروم » من مجهوده الجبار وترجمته عام ٣٨٤م.

وقد وافقت عليها الكنيسة الكاثوليكية .

وعلاوة على هاتين الترجمتين القديمتين (اليونانية واللاتينية) وجدت أجزاء من الكتاب المقدس مترجمة إلى اللغة التوتينية بواسطة أسقف يسمى «أولفس».

ووجدت ــ أيضا ــ نسخة قبطية من القرن الثانى ، ونسخة حبشية وسكسونية قديمة .

ثم ساق صاحبى طريقة ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية فقال:

كان العرب آخر من وصلت إليهم الكتب المقدسة مترجمة إلى لغتهم العربية ، على أنهم لم يكونوا محرومين منها ، بل كانت لديهم الكتب المقدسة مترجمة إلى السريانية منذ القرن الثانى الميلادى.

ثم أعقبتها الترجمة القبطية الكاملة عام ٥٠٠ م ، ثم ظهر الكتاب مترجما إلى اللغة الأرمنية والحبشية .

وأما العهد الجديد فلم يظهر بالعربية إلا فى القرن التاسع للميلاد ، وقد دلت الحفريات فى شبه جزيرة العرب على وجود مسيحيين فى بقاع

كثيرة، وكانت الكنائس والأديرة منتشرة فى رحابها .

وقد قام بعضهم أمثال أسقف سفيل من أعمال أسبانيا ، وسعد جدغاون أو سعدية الفيومى، وحنين بن إسحاق وغيرهم بترجمة الكتاب المقدس كله أو بعضه إلى اللغة العربية.

فلما جاءت سنة ١٢٥٠م أخذ هبة الله بن العسال ــ وكان إسكندرى الجنس ــ على عاتقه ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية .

وأما عام ١٦٧١م فهو تاريخ أول نسخة للكتاب المقدس باللغة العربية وهى التى كانت دارجة من عهد قريب ، أى قبل ظهور ترجمة « فانديك وسمث » الحالية المطبوعة ببيروت.

ويقال : إن سركيس الرزى ــ مطران دمشق ــ استأذن البابا فى تحصيل نسخة مطبوعة .

وقد قيض الله المرسلين الأمريكان الذين شعروا بمسيس الحاجة إلى ترجمة عربية صحيحة للكتاب المقدس ، ونشر أوراق الخلاص بين أربعين مليونا ناطقين بالضاد ــ يومئذ .

فقام الدكتور عالى سمث ، والدكتور كرنيلوس فانديك ، والشيخ نصيف اليازجى بترجمة الكتاب المقدس وهى فى غاية الدقة .

وبعد ذلك عاد صاحبى للحديث عن النسخة الإنجليزية المتداولة الآن فقال:

هى ثمرة عملية طويلة نمت أثناءها اللغة الإنجليزية وارتقت ، وهى أسمى ما فى ثقافة الأنجلو سكسونيين.

وقد بدأت أولا بترجمة أجزاء متقطعة من الكتاب المقدس، إلى أن وصل إلى انجلترا القديس أغسطينوس سنة ٥٩٦م فابتدأت الترجمة من اللاتينية إلى أنجلو سكسونية .

وقد عثر أخيرا على أجزاء كبيرة من هذه الترجمة التى يرجع عهدها إلى سنة ٦٠٠ ــ ١٠٠٠م.

ومن بين الذين اشتركوا فى هذه التراجم شعراء العالم وفلاسفته، حتى إن الملك « ألفريد » اشترك هو بنفسه فى بعض هذه التراجم إلى اللغة الإنجليزية القديمة .

ومن هنا نرى أن الإنجليز أبدوا من البدء عناية فائقة واهتماما عظيما بالكتاب المقدس ، فلا غرو إذ رأيناهم ناجحين يسودون العالم، وهاهم لا يزالون يدأبون على نشر الكتاب المقدس وترجمته إلى كافة لغات العالم.

وفى سنة ١٣٧٨م قام « جون ويكلف » بترجمة العهد الجديد أولا، وفى سنة ١٣٨٠م أكمل ترجمة العهد القديم، وضم الاثنين فكون الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية .

وقد قام « وليم تندل » سنة ١٥٣٥م بترجمته مرة أخرى ، وهى الحديثة المعروفة باسم الملك « جيمس » .

وأعقب هذه الترجمة ترجمة أخرى ١٨٨٥م وتلتها الترجمة الأميريكية المنقحة ١٩٠١م وهى المتداولة الآن .

العهد القديم

الكتاب المقدس لدى النصارى جزءان ، يسمى أحدهما العهد القديم ، والآخر العهد الجديد .

ويتضمن العهد القديم ما يخص اليهود من أسفار ، وهى تسعة وثلاثون سفرا ، منها ما هو منسوب إلى موسى عليه السلام مثل: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ، ومنها مزامير داود ، ومنها نشيد الإنشاد لسليمان ، ومنها أسفار لأشعياء، وحزقيال، ودانيال، وزكريا، وغيرهم من أنبياء بنى إسرائيل .

والعهد الجديد هو ما يخص النصارى من أسفار ، ويحتوى على الأناجيل الأربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا، بالإضافة إلى أعمال الرسل، ورسائل بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهوذا ، وعدد أسفاره سبعة وعشرون سفرا.

وعجيب الأمر: أن علاقة اليهود والنصارى بعضهم ببعض دينيا علاقة تكفير ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾ [البقرة : ١١٣] .

فموقف اليهود هو الكفر بعيسى عليه السلام واتهام مريم البتول بالبهتان والفاحشة ، وموقف النصارى هو أن دم المسيح فى أعناق اليهود وذرياتهم؛ لأنهم قتلوه وصلبوه .

ومع ذلك يعتقد النصارى أن أسفار اليهود جزء من كتابهم المقدس، وليتهم قالوا: إن توراة موسى حرفها اليهود ولكنهم قبلوها على علاتها، وقدسوها رغم تحريفها ، وتعبدوا بها مع تزييفها.

ونحن ــ المسلمين ــ نعتقد أن التوراة فى أصلها كتاب منزل فيه التوحيد والكمال لله تعالى ، والهدى والنور لبنى إسرائيل، قال جل شأنه: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا

التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُور ﴾ [المائدة : ٤٤] .

إلا أن مصادر اليهود الدينية التى يقدسونها اليوم لا ترتبط بوشيجة قربى أو نسب بتوراة موسى المقدسة التى أنزلها الله تعالى ، وذلك لما فى مصادرهم الدينية من إلحاد بالله ، وافتراء على الأنبياء ، وعنصرية بغيضة تحتقر بنى الإنسان.

وإليك نماذج من هذا الفساد العقدى والتشريعى:

أ ــ الإلحاد فى الله وآياته :

حديث العهد القديم عن الله عز وجل ملىء بالنقائص والتشبيه بالحوادث، فالإله يغدو ويروح ، ويتراءى للبشر ويقف معهم متحدثا ومحاورا، ففى قصة آدم وحواء نقرأ هذا النص:

« وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟

فقال: سمعت صوتك فى الجنة، فخشيت لأنى عريان فاختبأت . . . »(١).

وفى قصة نوح نجد هذا التعبير :

« فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . . . » (٢) .

وفى قصة إبراهيم نقرأ :

« ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام ، وقال له : أنا الله القدير ، سر أمامى وكن كاملا ، فأجعل عهدى بينى وبينك ، وأكثرك كثيراً جدا.

فسقط أبرام على وجهة وتكلم الله معه ».

ولما فرغ الإله من لقاء إبراهيم يقول العهد القديم :

---

(١) سفر التكوين ص ٣ عدد ٨ : ١١ .

(٢) التكوين ص ١١ عدد : ٦ .

« صعد الله عن إبراهيم » [١] .

بل أبعد من ذلك لقد ذهب الإله إلى إبراهيم فى خيمته فى وقت القيلولة وهب إبراهيم لتقديم الطعام والماء، ولنقرأ :

« وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ونظر ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ،وسجد إلى الأرض ، وقال :

يا سيد، إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة ، فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تختازون ؛ لأنكم قد مررتم على عبدكم.

فقالوا : هكذا نفعل كما تكلمت » [٢] .

والإله ــ فى زعم العهد القديم ــ يحزن ويأسف ، ويخطئ ويتراجع عن الخطأ، ويندم .

وهذه بعض شواهد ذلك :

« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض ، وتأسف فى قلبه ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته» [٣] .

« فتنسم الرب رائحة الرضا ، وقال الرب فى قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان » [٤].

« وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلا : ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا ؛ لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى، فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى

---

(١) التكوين ص ١٧ .

(٢) التكوين ص ١٨ عدد ١ : ٦ .

(٣) التكوين ص ٦ عدد ٥ : ٧ .

(٤) التكوين ص ٨ عدد ٢١ .

الرب الليل كله » [١] .

والإله فى منطق العهد القديم ـ عنصرى ، فهو إله العبرانيين ، أو إله إسرائيل فقط ، وقد تكرر هذا التعبير كثيرا .

وعلى سبيل المثال :

« ثم قال الرب لموسى : ادخل إلى فرعون ، وقل له هكذا ، يقول الرب إله العبرانيين : أطلق شعبى ليعبدونى» [٢] .

« فقال جميع الرؤساء لكل الجماعة : إننا قد حلفنا لهم بالرب إله إسرائيل» [٣] .

بل إن بداية حديث العهد القديم عن الله تجعله خالقا ضعيفا يناله التعب والنصب ، فيستريح بعد خلق السموات والأرض ، ويتخذ من اليوم السابع يوما للراحة .

ومن غريب الأمر : أن العهد القديم يكاد يكون خاليا من ذكر الجنة وثوابها والنار وعذابها، وكل ما يحدث من إله إسرائيل هو الهلاك والتشريد لأعدائه ، والنصر والتمكين لشعب إسرائيل ، ولا شىء غير ذلك يذكر ، ويسدل الستار تماما عن اليوم الآخر وما فيه .

ب ــ الافتراء على الأنبياء :

الأنبياء فى عقيدة اليهود ــ بشر منحرفون ، لا عصمة لهم ولا كرامة تخصهم ، ولهم من الأفعال والأقوال ما يندى له جبين الرجل الحر.

فنوح عليه السلام ــ فى حديث العهد القديم ــ رجل سكير، يحتسى الخمر حتى يفقد الوعى ويخلع ملابسه ويبقى عاريا، ولنقرأ:

« وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما، وشرب من الخمر فسكر وتعرى

(١) سفر صموئيل الأول ص ١٥ عدد ١٠ ، ١١ . (٢) سفر الخروج ص ٩ عدد ١ .
(٣) سفر يشوع ص ٩ عدد ١٩ .

داخل خبائه، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء ، فلم يبصرا عورة أبيهما» (١) .

وبنت يعقوب يغتصبها ابن الملك ثم يحاول أن يتزوجها من أبيها وإخوتها، فيتظاهرون بالموافقة ويشترطون شرطا هو أن يختن جميع ذكور المدينة ، حتى تتم المصاهرة بين بنات يعقوب وبنى الملك ، وتكون المفاجأة أن يقتحم بنو يعقوب المدينة حال وجع رجالها من أثر الختان ، فيقتلون جميع الذكور ، وينهبون كل ثرواتهم ونسائهم وأطفالهم (٢) .

وتتوالى قبائح الأنبياء وذرياتهم ، فيزنى ابن يعقوب بسرية أبيه تحت سمعه وبصره (٣) .

ويسقى لوط الخمر من ابنتيه ، ويضاجعانه حتى تأتى منه ذرية تخلد نسبه، ودار حوار سجله العهد القديم هكذا :

« وصعد لوط من صوغر ، وسكن فى الجبل وابنتاه معه ؛ لأنه خاف أن يسكن فى صوغر ، فسكن فى المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا.

فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها.

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة مع أبى ، نسقيه خمرا الليلة أيضا ،فادخلى اضطجعى معه فنحيى من أبينا نسلا.

فسقتا أباهما خمرا من تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموآبيين إلى اليوم ، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمى ، وهو أبو بنى عمون إلى اليوم» (٤).

---

(١) التكوين ص ٩ عدد ٢٠ : ٢٣ .
(٢) اقرأ تفاصيل هذه الواقعة فى الإصحاح ٣٤ من التكوين.
(٣) اقرأ الإصحاح ٣٥ العدد ٢١ من التكوين.
(٤) التكوين ص١٩ عدد ٣٠: ٣٨.

وداود ﷺ ـــ فى منطق العهد القديم ـــ يغرم بجمال امرأة قائد جيشه «أوريا» فيقضى منها وطره ويحتال على زوجها بإرساله إلى ميدان الغزو ليقتل.

وهاك ما سجله العهد القديم :

« وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم ، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ، فأرسل داود وسأله عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بثتبع بنت أليعام، امرأة أوريا الحثى.

فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود ، وقالت: إنى حبلى. . . ».

وتمضى الأسطورة اليهودية لتقول :

« وفى الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا ، وكتب فى المكتوب يقول: اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. . . ».

وفى النهاية مات الرجل وضم داود امرأته إليه (1) .

وتصبح الجريمة أنكى عندما يزنى ابن داود بأخته ويحتال عليها ليضاجعها؛ وتفاصيل هذه الجريمة فى الإصحاح الثالث عشر من سفر صموئيل الثانى.

وسليمان ﷺ ـــ فى منطق العهد القديم ـــ زير نساء، يدع دينه ويعبد الأصنام حبّا فى وصالهن .

ولنقرأ :

« وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات ، من الأمم الذين قال عنهم الرب

(1) اقرأ الإصحاح ١١ من صموئيل الثانى.

لبنى إسرائيل : لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم ؛ لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى ، فأمالت نساؤه قلبه ، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه .

فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العموريين ، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذى تجاه أورشليم ، ولمولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن .

فغضب الرب على سليمان ؛ لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين ، وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به الرب .

فقال الرب لسليمان :

من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها ، فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقًا وأعطيها لعبدك ، إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك من أجل داود أبيك ، بل من يد ابنك أمزقها [١] .

وقد لا تعجب بعد ذلك إذا زعموا أن أحد أسفارهم المقدسة ــ وهو نشيد الإنشاد ــ منسوب إلى سليمان ، وما هو إلا قصة غرام وعشق ، وتشبيب بالمرأة وجمالها ، ووصف كامل لجسدها مع إسفاف وابتذال .

والسفر يبدأ بهذه العبارة :

« ليقبلنى بقبلات فمه ؛ لأن حبك أطيب من الخمر » .

وهذه بعض تشبيهاته :

---

(١) سفر الملوك الأول ص١١ عدد ١ : ١٢ .

« عيناك حمامتان من تحت نقابك .

شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد .

أسنانك كقطيع نعاج صادرة من الغسل .

شفتاك كسلكة من القرمز .

فمك حلو . . .

خدك كفلقة رمانة تحت نقابك.

عنقك كبرج داود المبنى لأسلحة .

شفتاك يا عروس تقطران شهدا .

تحت لسانك عسل ولبن .

دوائر فخذيك مثل الحلى .

سرتك كأس مدورة .

بطنك صبرة حنطة .

قامتك هذه شبيهة بالنخلة .

وثدياك بالعناقيد » .

ويصل الهيام بالعاشق فيقول :

« إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها، وتكون ثدياك كعناقيد الكرم » .

وتبحث العاشقة عن حبيبها على فراشها فلا تجده فتخرج هائمة ، وتطوف فى أسواق المدينة وشوارعها حتى تجده وتمسك به وتقوده إلى بيت أمها .

وحين تستشعر العاشقة أقوال الناس حولها تسرح بخيالها فتقول : « ليتك كأخ لى ، الراضع ثديى أمى ، فأجدك فى الخارج وأقبلك ولا يخزوننى ، وأقودك وأدخل بك بيت أمى وهى تعلمنى ، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانى ، شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى » .

وهكذا تضيع القيم وتسود الرذيلة وتشيع الفاحشة باسم العهد القديم والكتاب المقدس .

ومع كل ذلك يتباهى صاحبى بوحدة الكتاب المقدس وتناسقه العجيب ، ويذكر أن النساخ اليهود حرصوا على كتابته فى رق حيوان طاهر .

ولو عقل صاحبى لأدرك أن قلوب هؤلاء النساخ وجلودهم لن يطهرها ماء الدنيا كلها ، وأن هذا الرياء الخادع لن يغير من حقيقة كفرهم شيئًا .

وصدق الله العظيم حيث يقول فى قرآنه الكريم :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة : ٧٩] .

الأصل المفقود

قدم صاحبى عرضًا موجزًا لبعض ترجمات الكتاب المقدس عندهم ، وتشبث بأسماء من تنسب إليهم الأسفار وقال :

« وقد كانت كتاباتهم تحت تأثير ظروف مختلفة متعددة من دينية وسياسية واجتماعية ، فمنهم الملك كداود وسليمان ، وراعى الغنم كعاموس ، والكاهن كزكريا ، والنبى كصموئيل وأشعياء ، والمتشرع كموسى ، والقائد كيوشع ، وصياد السمك كبطرس ويوحنا ، والفيلسوف كبولس الرسول، والطبيب كلوقا، ومحصل الضرائب كمتى العشار . . . » .

وتناسى صاحبى تمامًا أن يسائل نفسه هذا السؤال :

أين الأصل الذى كتبه موسى وداود وسليمان وزكريا . . . إلخ ؟

هل يستطيع أحد أن يدعى بقاء هذا الأصل حتى يمكن التحقق من مطابقة الترجمة له أم لا ؟

وما يسمى بإنجيل متى أو مرقس أو لوقا أو يوحنا ، هل هو الإنجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام ؟

إن الأناجيل تسوق قصة المسيح من ولادته إلى صلبه فى زعمهم ، ومن غير المعقول أن تكون تلك القصة وحيًا تلقاه عيسى من ربه ، وعلمه حوارييه ، واستكتبهم إياه .

إن كل عاقل يجزم أن عيسى لم يقرأ هذه الأناجيل فى حياته ، ولم يبد ملاحظاته عليها ، ولم يصدر عنه إقرار لها ، فكيف يقال بعد لك: إنها إنجيل مقدس ؟

وتلك الأناجيل المزعومة مقطوعة السند بمؤلفيها ، ونسبتها إليهم قائمة على

الظن ، وهو لا يغنى من الحق شيئًا .

يقول الشيخ رحمة الله الهندى :

« إن السند المتنازع بيننا وبينهم السند المتصل ، وهو عبارة أن يروى الثقة بواسطة أو وسائط عن الثقة الآخر ، بأن يقال : إن الكتاب الفلانى تصنيف فلان الحوارى أو فلان النبى ، وسمعت هذا الكتاب كله من فيه ، أو قرأته عليه ، أو أقر عندى أن هذا الكتاب تصنيفى .

وتكون الواسطة أو الوسائط من الثقات الجامعين لشروط الرواية ، فنقول : إن مثل هذا السند لا يوجد عندهم من آخر القرن الثانى أو أول القرن الثالث إلى مصنف الأناجيل . . . » [1] .

وبناء على هذا ، فإن إنجيل متى يقال عنه : إنه كتب بالعبرية ، ولا توجد منه نسخة عبرانية ، وإن أقدم نسخة لترجمته لا يعرف مترجمها ، وبالتالى لا يمكن التحقق من صحة النص ولا من صحة الترجمة .

وإنجيل مرقس مختلف فى مؤلفه أهو مرقس ، أم بطرس ؟

ولوقا أحد أصحاب الأناجيل ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه ، وإنما هو من تلاميذ بولس ، ذلك الشيطان المقدس الذى أفسد النصرانية بالعقائد الوثنية .

وإنجيل يوحنا، تقول عنه دائرة المعارف البريطانية التى اشترك فى تأليفها خمسمائة من علماء النصارى ما نصه :

« أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولاشك كتاب مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما ببعض ، وهما القديسان يوحنا ومتى ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ، ووضعت اسمه على الكتاب نصًا ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقينا ، ولا يخرج

---

(١) إظهار الحق ـــ تحقيق عمر الدسوقى : ١/ ٣١٤ ، ط . منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .

هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه .

وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ــ ولو بأوهى رابطة ــ ذلك الرجل الفلسفى الذى ألف هذا الكتاب فى الجيل الثانى بالحوارى : يوحنا الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى » (١) .

ويعترف صاحبى بأن توالت على الترجمات تنقيحات كثيرة ، وأن كل ترجمة تصوب سابقتها . أفلا ترى أنه مع هذه التعديلات يضيع المعنى فى غيبة النص الأصلى ؟!

وأفلا ترى أن هذه التنقيحات أو التصويبات منشأ للتحريف والتبديل ؟!

لقد أورد الشيخ : رحمة الله الهندى نماذج لاختلاف بعض الترجمات التى قرأها وساق أربعة وعشرين موضعًا ، منها :

١ ــ فى الآية العشرين من الباب الحادى والثلاثين من سفر التكوين فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٢٥وسنة ١٨٤٤م :

« فكتم يعقوب أمره عن حميه » .

وفى ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٢٥ لفظ : « لابان »موضع « حميه» ، فوضع مترجمو العربية لفظ الحمى موضع الاسم .

٢ ــ فى الآية الأولى من الباب الرابع من إنجيل يوحنا فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م وسنة ١٨٣١م وسنة ١٨٤٤م هكذا :

« لما علم يسوع » .

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٦٠ :

« لما علم الرب » .

(١) محاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة : ص٦١ ، ط . الرئاسة العامة لإدارات البحوث بالرياض .

فبدل المترجمان الأخيران لفظ : « يسوع » الذى كان علم عيسى عليه السلام بالرب الذى هو من الألفاظ التعظيمية .

٣ ــ وفى الآية الرابعة عشر من الباب الحادى عشر من إنجيل متى فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١م وسنة ١٨٤٤م هكذا :

« فإن أردتم أن تقبلوه فهو إيليا المزمع أن يأتى » .

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦م :

« فإن أردتم أن تقبلوه فهذا هو المزمع بالإتيان » .

٤ ــ فى الآية الرابعة والثلاثين من الباب السابع من إنجيل مرقس فى الترجمة المطبوعة سنة ١٨١٦ :

« ونظر إلى السماء وتأوه وقال : إفثا يعنى انفتح » .

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ :

« ونظر إلى السماء وتنهد وقال : إفاثا الذى هو انفتح » .

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ هكذا :

« ونظر إلى السماء وتنهد وقال له : انفتح الذى هو انفتح » .

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ هكذا :

« ورفع نظره نحو السماء وأنَّ وقال له : إفثا : أى انفتح » .

٥ ــ فى الآية الثانية من الباب الخامس من إنجيل يوحنا فى حق البركة فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ :

« تسمى بالعبرانية بيت صيدا » .

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ :

« يقال لها بالعبرانية : بيت حسدا » .

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ .

« تسمى بالعبرانية بيت حصدا، أى بيت الرحمة » (١) .

إنه فى غيبة الأصل وفى حال انقطاع السند — مع أهواء المترجمين ، واختلاف مشاربهم — تضيع الحقيقة وتصبح الترجمة صورة شوهاء.

واعترف بغيبة الأصل وانقطاع السند كثير من الباحثين ، من أشهرهم المؤرخ العالمى — ول ديورانت — فيقول :

« وترجع أقدم النسخ التى لدينا عن الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث .

أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامى ٦٠ ، ١٢٠م ، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء فى النقل ، ولعلها تعرضت أيضًا لتحريف مقصود ، يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التى ينتمى إليها الناسخ أو أغراضها .

والكتاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادى لا ينقلون قط شيئًا عن العهد الجديد ، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم ، ولسنا نجد إشارة لإنجيل مسيحى قبل عام ١٥٠م إلا فى كتاب بيباس الذى كتب فى عام ١٣٥م ، إذ يقول :

« إن يوحنا الأكبر — وهو شخصية لم يستطع الاستدلال على صاحبها — قال : إن مرقس ألف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس . . . » (٢) .

---

(١) راجع هذه الاختلافات والاضطرابات فى النصوص فى كتاب : إظهار الحق :٢ / ٣٤٦ . وقد جرى الشيخ : رحمة الله على استعمال مصطلح الآية والباب ، مع أن الآية مصطلح قرآنى ، والعرف جرى على استعمال العدد كذا من الإصحاح كذا . فيقال مثلاً: العدد ٢ من الإصحاح الخامس من إنجيل يوحنا .

(٢) قصة الحضارة — ترجمة محمد بدران ١١/٢٠٧ ، ط الثالثة سنة ١٩٧٣م .

مختـــارات

يغتر صاحبى بأناجيله الأربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا ، وحاول أن يضفى عليها من العناية والاهتمام والتلقى ما جعله ينسى ـ أو لعله يجهل ـ أن هذه الأناجيل الأربعة مختارة من أكثر من سبعين إنجيلاً كانت منتشرة فى القرون الأولى للنصرانية .

ووقع صراع الأناجيل هذه فى عهد بولس المزعوم رسولاً ، فأهل قرية غلاطيـة آمـنت بإنجيل بولس، ثم فجـأة تحـولت عنه إلى إنجيـل آخر مع داع جديد . . . ولنقرأ هذا النص من رسالة بولس :

« إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ، ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح ».

ولسنا ندرى أبولس هو الذى حول إنجيل المسيح وحرفه أم الداعى الجديد الذى نافسه فى أهل هذه القرية ؟ !

ويحدث التاريخ أنه كان لأصحاب مرقيون وأصحاب ديصان إنجيل يخالف بعضه هذه الأناجيل .

ولأصحاب مانى إنجيل يخالف هذه الأربعة .

وهناك إنجيل ينسب إلى تلامس .

وإنجيل اشتهر باسم التذكرة .

وإنجيل سرن تهس.

وإنجيل برنابا.

وساق الشيخ محمد أبو زهرة عن بعض المؤرخين :

« إنه لم توجد عبارة تشير إلى وجود أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا

قبل آخر القرن الثالث ، وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة أرينيوس فى سنة ٢٠٩م ثم جاء بعده كليمنس إسكندريانوس فى سنة ٢١٦ وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم . . . » [١] .

ويقول آدم كلارك وهو من كبار علماء البروتستانت :

« هذا الأمر محقق، أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة فى أول القرون المسيحية ، وكثرة هذه الأقوال الكاذبة غير الصحيحة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل.

ويوجد ذكر أكثر من سبعين إنجيلا من هذه الأناجيل الكاذبة، والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية، وكان الفاضل «فابرى سيوس» جمع هذه الأناجيل الكاذبة وطبعها فى ثلاثة مجلدات. . . » [٢] .

ووصف هذه الأناجيل كلها بالكذب تحكم لا دليل عليه ، ومما يلفت النظر أن تكون هذه الكثرة فى أول القرون المسيحية ،مع أن العكس ينبغى أن يصح بناء على قرب العهد بالمسيح عليه السلام .

لكن الواقع أن النصارى فى قرونهم الأولى عاشوا مضطهدين ، يتعقبهم الصليب أينما كانوا ، مما دفعهم إلى التخفى والتنكر والتقية أحيانا ، فضاعت معالم الإنجيل الصحيح .

ويكفى أن يرجع الباحث إلى التاريخ ليرى ما حل بالنصارى على أيدى نيرون (٥٤ ــ ٦٨) ، وتراجان (٩٨ ــ ١١٧)، ويكيوس (٢٤٩ ــ ٢٥١)، ودقلديانوس (٢٨٤ ــ ٣٠٥) ، إلى أن جاء الامبراطور الرومانى قسطنطين الأول (٣٠٦ ــ ٣٣٧) فاعتنق النصرانية بعد ست سنوات من حكمه، ودعا إلى المجمع المسكونى الأول (مجمع نيقية سنة ٣٢٥) الذى أله المسيح، وفرض الكهنوت على الناس ، وحرق الكتب التى تخالف رأيه ، ورفع السيف أمام

---

(١) محاضرات فى النصرانية : ص ٤٩ .

(٢) نقلا عن كتاب : المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ــ للأستاذ عبد الكريم الخطيب : ص٧٨.

المعارضين ، وحرم كتبا من العهدين القديم والجديد على سواء مثل رسالة بولس إلى العبـرانيين ، والرسالة الثـانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ، ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا.

وتوالت المجامع تنعقد لتحرم مرة وتحل أخرى، وظلت بعض الكتب مُسَلَّمة أكثر من ألف عام حتى جاء البروتستانت فرفضوا تسليمها وحكموا بزيفها مثل كتاب باروخ ، وكتاب طوبيا ، وكتاب ريوديت ، وكتاب وزدم . . . إلخ [1] .

وقد أكد كثرة الأناجيل فى القرون الأولى المؤرخ العالمى ول ديورانت فقال:

« إن الأناجيل الأربعة التى وصلت إلينا هى البقية الباقية من عدد أكبر منها كثيرًا كانت فى وقت ما منتشرة بين المسيحيين فى القرنين الأول والثانى» [2].

وفى موقف آخر يقول:

« ويختلف المسيحيون أشد الاختلاف من حيث قبولهم هذه الكتابات (الأناجيل والرسائل والرؤى والأعمال) على أنها تعبير صادق عن العقيدة المسيحية أو رفضها.

فقد قبلت الكنائس الغربية مثلا سفر الرؤيا ، أما الكنيسة الشرقية فهى بوجه عام ترفضه.

وهذه الكنائس الشرقية تعترف بالإنجيل كما يقول العبرانيون وبرسائل يعقوب، أما الكنيسة الغربية فترفضهما .

ويذكر كلمنت الإسكندرى ضمن الكتب المقدسة رسالة كتبت فى أواخر القرن الأول الميلادى ، اسمها تعاليم الرسل الاثنى عشر.

ولما نشر مرسيون « عهدا جديدا » اضطرت الكنيسة إلى العمل لتحديد ما

---

(١) راجع كتاب: إظهار الحق : ١/ ٩٨ ، ومحاضرات فى النصرانية : ص ١٥٦ .
(٢) قصة الحضارة : ١١ / ٢٠٦ .

تعترف به وما لا تعترف من الأناجيل .

ولسنا نعرف متى حددت أسفار العهد الجديد التى نعرفها الآن واعترف بها»[١] .

هذا، ومن مفاجآت العصر الحديث أنه قد ظهرت مخطوطات ووثائق لو درست على حقيقتها وأعلن الكشف عن مضمونها ــ لغيرت وجه النصرانية ، ولقلبت أمر الكنيسة رأسا على عقب .

يقول الحاج إبراهيم خليل أحمد (القسيس إبراهيم خليل فيلبس سابقا):

«اكتشفت مخطوطات قديمة ذات أهمية كبيرة كانت مخبأة فى أوانى فخارية طويلة ، ومحفوظة فى إحدى الحفر فى هضبة بجوار البحر الميت».

وقد قال فى شأنها الدكتور (و.ف. ألبرايت) ــ وهو عمدة فى علم آثار الإنجيل :

« إنه لا يوجد أدنى شك فى العالم حول صحة هذا المخطوط، وسوف تعمل هذه الأوراق ثورة فى فكرتنا عن المسيحية » .

وقال فى شأنها القس (أ. باول ديفز) ــ رئيس كنيسة كل القديسين فى واشنطن ــ فى كتابه « مخطوطات البحر الميت » فى الصفحة الأولى:

« إن مخطوطات البحر الميت ــ وهى من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة ــ قد تغير الفهم التقليدى للإنجيل ».

وقال فى شأنها القس (الدكتور تشارلس فرنسيس بوتو) فى كتابه «السنون المفقودة من عيسى تكشف » فى الصفحة ١٢٧ :

« لدينا الآن وثائق كافية تدل على أنها مخطوطات هى حقيقة هبة الله إلى البشر ؛ لأن كل ورقة تفتح تأتى فيها إثباتات جديدة على أن عيسى كان كما قال عن نفسه : « ابن الإنسـان » أكثر منه « ابن الله » كما ادعى عليه ذلك

---

(١) المصدر السابق : ١١ / ٣١٥ .

أتباعه ، وهو منه برىء ».

وقال هذا القس أيضا :

« من العسير العثور على كتاب فى العهد القديم لا يحتاج إلى تصحيحات تحت ضوء مخطوطات البحر الميت ، وكذلك ليس هناك كتاب فى العهد الجديد لا يحتاج إلى تفسير شامل للآيات الأساسية التى تقوم عليها الشريعة».

وقال أيضا:

« إن إنجيلا يدعى « إنجيل برنابا » استبعدته الكنيسة فى عهدها الأول ، والمخطوطات التى اكتشفت حديثا فى منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل».

واكتشف مخطوط ثان فى الفيوم ، ومخطوط ثالث فى مصر العليا ، ومخطوط رابع فى طور سيناء سنة ١٩٥٨ وقيل: إن هذا المخطوط الأخير مكتوب باللغة الديموطيقية ، وإنه كتب فى القرن الثالث بوساطة القديس مرقس الحوارى المعروف يصف فيه تاريخ عيسى ويصحح نقطا كثيرة مما جرى عليه التقليد المسيحى » (١) .

ألا تصدق أيها النصرانى:

أن أناجيلكم مختارات كتبها بشر، وتدخلت السلطة السياسية والكنسية لفرضها عليكم ، وظلت تردد على أسماعكم أنها الكتاب المقدس. حتى اعتقدتم الكذب صدقا ، والباطل حقا، وتأليفات البشر وحيا منزلا ..!

﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة:٧٩] .

---

(١) محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن ــ إبراهيم خليل أحمد ص ١٠٨، ط. دار المنار.

إلهام .. أم تأليف؟

يزعم النصارى أن الأناجيل تلقاها أصحابها إلهاما بواسطة روح القدس الذى تنزل عليهم بعد رفع المسيح .

ويقول صاحبى فى بعض مراسلاته إلىَّ :

« إن روح الله أرشد أولئك الكتاب بطريقة مخصوصة ، ومكنهم من كتابة أمور الخير ، وإلا فمن أين أتت إن لم تكن من روح الله ؟! ».

واطمئن صاحبى أنه ليس فى الأمر مشكلة ولا معضلة ، فقد أتت من تأليف أصحابها ، وهذا هو الثابت واليقين ، وغيره وَهْم وتضليل.

وأمامك يا صاحبى مفتتح إنجيل لوقا يؤكد حقيقة التأليف :

« إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقنة عندنا ، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة ، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شىء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالى إليك أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذى علمت به . . .

ولعل صاحبى يعلم أن مجامع النصارى قد أحلت وحرمت كتبا ورسائل من العهدين القديم والجديد ، وكلما انعقد مجمع أحل ما حرم سابقه أو حرم ما أحل ، فلو أن فى المسألة إلهاما ، وفى الكتب يقينا ما اعتراها هذا الحكم ، ولكن لكونها تأليفات بشرية خضعت للتضعيف والتحسين .

وقد ذكرنا فى البحث السالف أن ما حرمه مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م من رسائل وكتب قد أحله مجمع لوديسيا سنة ٣٦٤ م ، ولذا يقول مؤلفو دائرة المعارف البريطانية فى ص ٣٧٤ من المجلد الحادى عشر :

« قد وقع النزاع فى أن كل قول مندرج فى الكتب المقدسة هل هو إلهامى

أم لا ؟

وكذا كل حال من الحالات المندرجة فيها ؟

فقال جيروم ، وكريتس ، وأرازمس ، وبركوبيس ، والكثيرون الآخرون من العلماء : إنه ليس كل قول منها إلهاميا . . . ».

وفى ص ٢٠ من المجلد التاسع عشر :

« إن الذين قالوا : إن كل قول مندرج فيها إلهامى لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة » .

وفى المجلد السابع عشر :

« إن الناس قد تكلموا فى كون الكتب المقدسة إلهامية ، وقالوا: إنه يوجد فى أفعال مؤلفى هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات ، مثلا إذا قوبلت الآية ١٩، ٢٠ من الباب العاشر من إنجيل متى، والآية ١١ من الباب الثالث عشر من إنجيل مرقس ، بست آيات من أول الباب الثالث والعشرين من كتاب الأعمال يظهر ذلك » (١) .

وشهد شاهد من أهلها .

ألا تكفى يا صاحبى شهادة هؤلاء الأعلام فى ملتك وعقيدتك ؟ !

والمثل الذى ساقته دائرة المعارف البريطانية يتعلق بوصية المسيح لتلاميذه، فهو فى إنجيل متى ومرقس يحثهم على الصمت الكامل عند القبض عليهم ومحاكمتهم؛ لأن روح القدس يتكلم باسمهم ، فإذا انتقلنا إلى الإصحاح الثالث والعشرين من أعمال الرسل نجد أن بولس يصيح فى مجلس رئيس الكهنة ويدافع عن نفسه بأنه صاحب ضمير صالح ، ويتوعده بعقاب الله ، ثم يعتذر فى نهاية الموقف لأنه تكلم بسوء أمام رئيس الكهنة .

ثم نتساءل :

---

(١) نقلا عن كتاب : إظهار الحق : ١/ ٢٧٨.

هل يا ترى مزاعم النصارى حول الإلهام شاملة للفظ والمعنى أم قاصرة على المعنى فقط ؟!

إن كان الإلهام لفظا ومعنى فهو مردود لأول وهلة ؛ لأن الأناجيل الرسمية ليست محل اتفاق فى اللفظ والمعنى حول الحادثة الواحدة ، وهذا من جهة أخرى ــ يجعل النصارى محل اتهام شنيع وهو خيانة اللفظ الملهم ، حيث ضاع أصله الذى يرجع إليه ، وما بقى تاه وسط الترجمات المتعاقبة والتنقيحات المتتالية ، فلم يكن النصارى أمناء فى حفظ هذا الإلهام اللفظى .

وإن كان الإلهام معنى فقط ، فيرده أيضا تناقض واختلافات هذه الأناجيل ، لأن الإلهام الصحيح لا يناقض بعضه بعضا فى قصة واحدة أو واقعة معينة أو توجيه خاص .

ويكفى أن نحيل إلى واقعة واحدة من بين وقائع كثيرة اختلفت حولها روايات الأناجيل وتناقضت .

فقد اتفقت الأناجيل على أن المسيح صلب بين لصين ، وعندما نتأمل مرويات الأناجيل عن الحوار الذى دار على الصليب بين هؤلاء الثلاثة ــ نجد الاختلاف والتناقض والكذب .

ماذا يقول متى ؟

يقول : « حينئذ صلب معه لصان ، واحد عن اليمين وواحد عن اليسار وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين : يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلص نفسك ، إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب » .

وتمضى الرواية لتقول : « وبذلك أيضا كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه » (١) .

وتتفق رواية مرقس مع هذه الرواية لمتى ، ويلتقيان على أن اللصين اللذين صلبا مع المسيح كانا يعيرانه (٢) .

---

(١) متى ص ٢٧ عدد ٣٨ : ٤٤ .

(٢) راجع : مرقس ص ١٥ عدد ٢٧ : ٣٢ .

فإذا انتقلنا إلى رواية لوقا نجد أن الأمر قد اتخذ اتجاها آخر ، فأحد اللصين يهزأ بالمسيح ويسخر منه ، والآخر يدافع عنه ويرجو دعاء المسيح ورحمته.

وهاك نص رواية لوقا :

« وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه قائلا :

إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا !!

فأجاب الآخر وانتهره قائلا :

أو لا تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه ، أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا، وأما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله.

ثم قال ليسوع :

اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك .

فقال له يسوع :

الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » (١) .

والشيء الذى يصعب تصديقه حقا ــ بالإضافة إلى ما ذكر من التناقض ــ هو الحوار فى حد ذاته بين المرفوعين على الصليب وقد سمرت أطرافهم فهم يعانون آلاما مبرحة ، وينتظرون نهاية مأساوية لحياتهم ، تتوه معها الكلمات، ويتعثر اللسان ، ويفقد العقل توازنه .

ولعل يوحنا فهم هذا المعنى فذكر رواية الصلب مجردة عن الحوار فقال : «فأخذوا يسوع ومضوا به ، فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له: موضع الجمجمة ، ويقال له بالعبرانية : جلجثة ، حيث صلبوه وصلبوا اثنين آخرين معه من هنا ومن هنا ويسوع فى الوسط » (٢) .

وهناك مسألة هامة تتعلق بدعوى الإلهام المعنوى ، ألا وهى تلك القضايا

---

(١) لوقا ص ٢٣ عدد ٣٩ : ٤٣ .

(٢) إنجيل يوحنا ص ١٩ عدد ١٦ : ١٨ .

غير المعقولة فى عقائد النصارى من التثليث والأقانيم والصلب والفداء والقيامة والعشاء الربانى والتعميد . . . إلخ .

فهى قضايا تناقض العقل وتنافى الواقع ، وقد أدركنا من خلال حوارنا حول النصرانية مدى التخبط الفكرى والعقدى ، الأمر الذى يجعل القول بالإلهام عن روح القدس ضربا من خيال الشعراء وأساطير الشعوب.

وننتقل إلى نقطة فاصلة ، وهى أن الإلهام دعوى بلا دليل ، وليس هناك ضمان إلهى لمزاعم هؤلاء ، فهم ليسوا أنبياء يؤيدهم الله بالمعجزات ، فقد جرت سنة الله تعالى أن يؤيد رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، والمنزلة منزل القول : صدق عبدى فيما يبلغه عنى، ويمتنع عقلا وشرعا أن تقع المعجزة على أيدى المتنبئين الكذابين ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ .فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤ ـ ٤٧].

ووصول الوحى إلى الأنبياء محوط بضمان إلهى يمنع التزيد على النص، ويحول دون التدخل الشيطانى فى التبليغ ، قال الله سبحانه : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨] .

والإلهام ـ بمعنى ما يلقى من القلب ـ لغير الأنبياء المؤيدين بالمعجزات ليس من وسائل المعرفة الصحيحة ، فلا ندرى أهو إلقاء ملك أو شيطان ؟ !

ويكون الحكم حينئذ لأصول الشرع وضوابط الاستدلال ، فما وافق مسلمات الفطرة ومقتضيات العقول وقواعد الدين كان مقبولا ، وما خالفها كان مردودا.

ولعل حديثا لسيدنا رسول الله ﷺ يوضح هذا المعنى فيقول: «إن للشيطان لمة ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق،

وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد منكم ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله على ذلك ، ومن وجد الأخرى فليستعذ بالله من الشيطان » ثم قرأ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً ﴾ [البقرة : ٢٦٨] .

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملهما، وله موافقات للوحى، وأخبر الرسول ﷺ أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، ومع ذلك فليس فى الأمر إطلاق، وكثيرا ما تراجع عمر عن رأى ارتآه ، وحكم ارتضاه ، وهو القائل: أصابت امرأة وأخطأ عمر! .

فالمخاطبات والمكاشفات للصالحين والأولياء ــ ومن اقتفى أثر الأنبياء ــ محكومة بأصول الدين وقواعد التفكير لا تند عن شىء منها.

ونقل الإمام ابن تيمية عن أئمة المشايخ أقوالا منها:

« قال أبو سليمان الدارانى: إنه لتمر بقلبى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين الكتاب والسنة .

وقال الشيخ أبو سليمان أيضا : ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر ، فإذا سمع بأثر كان نورا على نور.

وقال الجنيد : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لم يصح له أن يتكلم فى علمنا هذا.

وقال سهل بن عبد الله التسترى: كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .

وقال : كل عمل على ابتداع فإنه عذاب على النفس ، وكل عمل بلا اقتداء فهو غش النفس » (١) .

والخلاصة : أن النصارى ادعوا لمؤلفى الأناجيل الإلهام المستقل فى العقائد والتشريع والتاريخ بلا كتاب مقدس صحيح يعرضون عليه هذه الإلهامات ، وبلا وعى عقلى يتأملها.

---

(١) الفتاوى : ١١ / ٥٨٥ .

بولس والشيطان المقدس

هناك رسالة مقدسة لدى النصارى تسمى « رسالة أعمال الرسل » كتبها لوقا صاحب أحد الأناجيل الأربعة ، وهى تتضمن فى شطرها الأكبر قصة بولس ذلك الشيطان المقدس .

اسمه « شاول» أو « شاؤول » باللغة العبرية ، وهو يرادف اسم « بولس» باللغة اليونانية .

نشأ على بغض المسيح ، وتعذيب أنصاره ، وتعقب أتباعه ، ففى الإصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل :

« وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم إلى السجن » (١).

وفجأة وهو مستمر فى تهويد النصارى وتقتيلهم ذهب إلى دمشق وحدث ما لم يكن فى الحسبان .

تقول رسالة أعمال الرسل :

« وفى ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول ، شاول لماذا تضطهدنى؟

فقال : من أنت يا سيد ؟

فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده ، صعب عليك أن ترفس مناخس!!

فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟

فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك : ماذا ينبغى أن تفعل. وعقب هذا الحوار انتابت بولس حالة إعياء تام مدة ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل

(١) العدد ٣ .

ولا يشرب» .

وفى دمشق بعث الرب فى زعمهم برؤيا إلى تلميذ يقال له : « حنانيا» يأمره فيها بالبحث عن بولس ، تقول الرسالة :

« فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يده ، وقال: أيها الأخ شاول قد أرسلنى الرب يسوع الذى ظهر لك فى الطريق الذى جئت فيه ، لكى تبصر وتمتلئ من الروح القدس ، فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر فى الحال وقام واعتمد ، وتناول طعاما فتقوى» (١) .

وبدأ بولس يزعم أنه محمل برسالة الدعوة إلى النصرانية ، وكتب أربع عشرة رسالة قلبت النصرانية رأسا على عقب .

فتحدث باسم الرب يسوع المسيح .

وباسم الله أبى الرب يسوع المسيح .

وباسم المسيح الجالس عن يمين الرب .

وباسم الابن الوارث لكل شيء.

وتكلم عن فداء الذين تحت الناموس ، وعطل أحكام التوراة ، وطوعها لأهواء الأمم ، فأعفاهم من الختان ، ونادى بختان القلب لا الجسد ، وأحل لحم الخنزير .

وأعلن بولس مبكرا نظرية السيفين حيث قال :

« لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ؛ لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله ، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ، فإن الحكام ليسوا خوفا للأعمال الصالحة بل للشريرة ، أفتريد ألا تخاف السلطان ، افعل الصلاح فيكون لك مدح منه ؛ لأنه خادم الله للصلاح .

---

(١) الإصحاح ٩ العدد ١٧ .

ولكن إن فعلت الشر فخف؛ لأنه لا يحمل السيف عبثا إذ هو خادم الله، ومنتقم للغضب من الذى يفعل الشر .

لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضا بسبب الضمير»[1] .

وتشكلت النصرانية من جديد وفق فكر بولس القائم على شتات مذاهب ونحل واتجاهات من اليهودية والرومانية والفلسفة الرواقية والأفلاطونية الحديثة.

وقد اعترف بهذا الخلط للنصرانية وذاك الخليط لفكر بولس ــ المؤرخ العالمى «ول ديورانت » فى قصة الحضارة ، وساق عرضا تحليليا لنشأة بولس ومسيرته فى الدعوة إلى المسيحية الجديدة .

فهو يؤكد أن بولس بقى إلى آخر أيامه يهوديا فى عقله وخلقه ، ويعلق على قصة المفاجأة التى حولت بولس إلى داع للنصرانية قائلا:

« وليس فى وسع أحد أن يعرف العوامل التى أحدثت هذه التجربة وما أعقبها من انقلاب أساسى فى طبيعة الرجل ، ولعل ما قاساه من التعب فى سفره الشاق الطويل فى شمس الصحراء اللافحة ، أو لعل ومضة برق فى السماء ناشئة من شدة الحر ، لعل شيئا من هذا أو ذاك كله قد أثر فى جسم ضعيف ، ربما كان مصابا بالصرع ، وفى عقل يعذبه الشك والإجرام، فدفع بالعملية التى كانت تجرى فى عقله الباطن إلى غايتها » [2] .

ويسوق « ول ديورانت » اعترافات صريحة من بولس بعيوبه وريائه الذى يشبه رياء رجال السياسة مثل :

« استعبدت للجميع لأربح الأكثرين ، فصرت لليهود كيهودى لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ، مع أنى لست بلا ناموس ،

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ، الإصحاح ١٣ العدد ١ : ٥ . (٢) قصة الحضارة :١١/ ٢٥٢.

لأربح الذين بلا ناموس .

صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما .

وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه » (١) .

ويؤكد « ول ديورانت » أن بولس أنشأ لاهوتا لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض فى أقوال المسيح ، وأنه مزج مبادئ اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة ، وأوجد طقوسا جديدة ، ووضع مسرحية للحشر والنشر استوعبت كل ما سبقها من مسرحيات .

ويعتـــرف هـــذا المـــؤرخ الفيلسوف أن هذا كان تغييرا يؤسف له كل الأسـف (٢) .

ويقرر أن تأثير بولس على النصرانية لم يشعر به معاصروه فى التو ، والساعة، وظل بولس مائة عام كاملة بعد موته لا يكاد يذكره إنسان ، فلما انقضت الأجيال الأولى من المسيحيين وأخذت أحاديث الرسول الشفهية تضعف ذكراها فى الأذهان ، وأخذ العقل المسيحى يضطرب بمئات من عقائد الزيغ والضلال ــ لما حدث هذا أضحت رسائل بولس إطارا لمجموعة من العقائد أضفت على الجماعات المتفرقة اتزانا ، وألفت منها كنيسة واحدة قوية . . . » .

ويبدو أن قصة الشيطان المقدس تتكرر كثيرا فى تاريخ النصرانية، فمن المشهور أن الامبراطور قسطنطين فى أوائل القرن الرابع الميلادى كان وثنيا وابنا غير شرعى من خادمة إحدى الحانات، وقد اعتنق النصرانية سنة ٣٢٣م وسيلة لمآربه السياسية ، ودعا الناس إلى اعتناق الدين الجديد ، ليقينه بأن المسيحى مستعبد، يرضى بالحكم القائم ولا يثور على القياصرة.

وقد ظل قسطنطين وثنيا مسيحيا ، وفى عام ٣٢٥م عقد مجمع نيقية برئاسته ليقرر الثالوث ويقضى على العقل ويحارب التوحيد.

وفى العصور الوسطى لأوربا تحول البابوات إلى أوغاد وفجار ــ على حد

---

(١) المصدر السابق ١١/ ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق ١١/ ٢٦٩.

تعبير جورج سباين [1] ــ وأصبحت المناصب الدينية فى المزاد العلنى توزع بأساليب الدناءة، حتى كانت ماروزيا ــ ابنة أحد كبار موظفى القصر البابوى ــ تعين بنفوذها بعض أصدقائها فى مناصب البابوية ، بل بعض أبنائها غير الشرعيين وهو البابا يوحنا الحادى عشر.

ويرى المؤرخون أن أحد أسباب انهيار الحكم القيصرى فى روسيا وجود الراهب راسبوتين الذى تسلل إلى القصر لمعالجة ولى العهد، فما لبث أن سيطر بنفوذه على القيصر وسياسة الدولة ، وأنزل بها من مشكلات السياسة والاقتصاد أعتاها وأشدها تعقيدا.

وكان هذا الراهب الشيطان ينادى بمبدأ دينى خطير، يقول: إن اقتراف الخطيئة مقدمة ضرورية لالتماس المغفرة!!

ومن هنا صاحبته النساء من جميع الطبقات ولازمته أينما توجه، وجاهر بتقبيلهن والاشتراك فى الحفلات الماجنة، وأسرف فى الدعارة [2] .

وهكذا مضت النصرانية طوال تاريخها تنتقل من خرافة إلى خرافة ، ومن وثنية إلى أخرى حتى تأصل فيها الفساد العقدى وحسبوه خلاصا، وهو الفتنة بعينها.

---

(١) تطور الفكر السياسى ـ ترجمة د. راشد البراوى : ٣/ ٧٢.

(٢) راجع كتاب: « شخصيات تاريخية » للأستاذ على أدهم ص ٢٠٠، ط. دار القدسى ــ بيروت.

إنجيل برنابا

من خلال الركام المتوارث باسم الأناجيل أو رسائل الرسل المزعومة — تنكشف حقائق عن كتاب آخر لقديس من هؤلاء الذين تعترف بهم الكنيسة وتؤكد تاريخهم فى الدعوة إلى النصرانية عقب المسيح عليه السلام .

إنه إنجيل برنابا .

فمن هو ؟

وكيف اكتشف إنجيله ؟

وما ملامح فكر هذا القديس ؟

وماذا يقول التحقيق العلمى والتاريخى عن هذه النسبة ؟

أ — برنابا :

أحد الحواريين الاثنى عشر — على رأى بعضهم — أو من الرسل الذين بشروا بالنصرانية بعد المسيح .

وكان يسمى « يوسف » وأطلق عليه الحواريون « برنابا » وصاحب «بولس» فى رحلاته ، وهو الذى قدمه إلى الحواريين بعد اعتناقه النصرانية . فقد جاء فى أعمال الرسل :

« ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ ، فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق ، وأنه كلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع»(١) .

لكن هذا الوفاق بين بولس وبرنابا لم يستمر طويلا ، فقد حدثت مناقشات

---

(١) الإصحاح ٩ العدد ٢٦ ، ٢٧ .

دينية أثناء رحلاتهم حول الختان ، فأصر برنابا على ضرورته ورفضه بولس فافترقا .

ب ـ اكتشاف إنجيل برنابا :

من الأمور التى يعرفها مؤرخو النصرانية أن تحريم الكتب وتحليلها كان أمرا شائعا فى العصور الأولى للنصرانية ، واستمر حتى العصور الوسطى، وأن استقرار عقيدة الكنيسة على الكتاب المقدس الآن هو نتيجة اجتهادات للمجامع والبابوات والفرق النصرانية .

وفى عام ٤٩٢ م أصدر البابا جلاسيوس الأول أمرا بالنهى عن مطالعة كتب ، ومصادرتها وفى عدادها كتاب يسمى « إنجيل برنابا » .

ومرت على النصرانية عهود اضطهاد وتشريد ، عفى الزمن فيها على الكتب التى تصادرها السلطة الدينية .

وقد حدث اكتشاف مذهل سنة ١٧٠٩م بواسطة « كريمر » أحد مستشارى ملك بروسيا ، وكان مقيما وقتئذ فى أمستردام ، ذلك الاكتشاف هو العثور على نسخة إيطالية فى مكتبة أحد مشاهير ووجهاء المدينة .

وفى عام ١٧٣٨م أهديت هذه النسخة إلى البرنس أيوجين سافوى ، ثم انتقلت بعد ذلك مع سائر مكتبة البرنس إلى البلاط الملكى فى فيينا حيث لا تزال موجودة حتى الآن .

وفى أوائل القرن الثامن عشر عثر على نسخة أخرى أسبانية بواسطة المستشرق « سايل » ، ثم نقلها الدكتور « منكهوس » أحد أعضاء كلية الملكة فى أكسفورد ـ إلى الإنجليزية ، ودفع بالترجمة مع الأصل عام ١٧٨٤م إلى الدكتور « هويت » أحد مشاهير الأساتذة .

ومن خلال التعليقات والتعقيبات المتواصلة تبين أن هذه النسخة الأسبانية هى بعينها النسخة الإيطالية .

وتأتى تساؤلات حول مصدر النسخة الإيطالية ، ويجيب التاريخ أن

مكتشف النسخة الإيطالية راهب لاتينى يسمى « فرامرينو » .

ومن خلال مطالعات هذا الراهب عثر على رسائل تندد بالقديس بولس الرسول ، وتسند هذا التنديد إلى إنجيل القديس برنابا ، وأصبح منذ ذلك الوقت شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل .

ويشاء الله أن يصير هذا الراهب مقربا من البابا « سكتس الخامس » فى نهاية القرن السادس عشر ، وحدث أن دخلا معًا مكتبة البابا ، فأخذت البابا سنة من النوم ، فأحب الراهب « فرامرينو » أن يطالع حتى يفيق البابا ، وإذا بالكتاب الأول الذى وضع يده عليه هو هذا الإنجيل ، فكاد يطير فرحا ، وخبأه فى ردائه ، ولما استفاق البابا استأذنه الراهب وانصرف حاملا هذا الإنجيل الجديد .

ولما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على أثره الدين الإسلامى [١].

جـ ــ فكر برنابا :

يبدأ إنجيل برنابا بإنكار بنوة المسيح لله ، وينعى على بولس رفضه للختان وتحليله للحوم النجسة . فيقول :

« برنابا رسول يسوع الناصرى ، المسمى المسيح ، يتمنى لجميع سكان الأرض سلاما وعزاء . . .

أيها الأعزاء : إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا فى هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح ، برحمة عظيمة للتعليم والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى أمر به دائما ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل فى عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته وسمعته أثناء معاشرتى ليسوع لكى تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا فى دينونة الله . . .

---

(١) هذه المعلومات مستقاة من المقدمة التى كتبها المترجم إلى العربية د. خليل سعادة .

وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا . . .

ولكن الله العظيم معكم ، وليحرسكم من الشيطان ، ومن كل شر . . . آمين» .

ويسوق إنجيل برنابا قصة المسيح من ولادته وظهور الملائكة مبشرين به ، وتلقيه الوحى الإلهى على جبل الزيتون ، ومعجزاته عليه السلام ومواعظه للحواريين وبنى إسرائيل وما تضمنته من تعاليم .

وفى الفصل التاسع والثلاثين يتحدث عن قصة خلق آدم وحواء، وموقف إبليس منهما .

وهنا ينص الإنجيل صراحة على البشارة بمحمد رسول الله فيقول :

« فلما انتصب آدم على قدميه رأى فى الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها : «لا إله إلا الله ومحمد رسول الله » ، ففتح حينئذ آدم فاه وقال :

أشكرك أيها الرب لأنك تفضلت فخلقتنى ، ولكن أضرع إليك أن تنبئنى ما معنى هذه الكلمات « محمد رسول الله » ؟

فأجاب الله : مرحبا بك يا عبدى آدم ، وإنى أقول لك : إنك أول إنسان خلقت ، وهذا الذى رأيته إنما هو ابنك الذى سيأتى إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة ، وسيكون رسولى الذى لأجله خلقت كل الأشياء ، الذى منى جاء ، سيعطى نورًا للعالم ، الذى كانت نفسه موضوعة فى بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئا . . .

فضرع آدم إلى الله قائلا :

يارب هبنى هذه الكتابة على أظفار أصابع يدى ، فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه ، على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصه :

« لا إله إلا الله » وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصه « محمد رسول

الله»، فقبل الإنسان الأول بحنو أبوى هذه الكلمات ، ومسح عينيه وقال :

بورك ذلك اليوم الذى سيأتى فيه إلى العالم . . . ».

وتتوالى البشارات بمحمد ﷺ ، وخلال هذا الحديث يؤكد إنجيل برنابا أن العهد الإلهى فى ذرية إبراهيم كان لإسماعيل.

ثم يأتى حديث عن أشراط الساعة ونهاية الكون وأحوال القيامة ويثبت الشفاعة العظمى لمحمد رسول الله .

ويذكر موعظة المسيح لليهود قائلا لهم — كما فى الفصل التاسع والستين:

أيها الفقهاء والكتبة والفريسيون وأنتم أيها الكهنة قولوا لى:

إنكم لراغبون فى الخيل كالفوارس، ولكنكم لا ترغبون فى المسير إلى الحرب. . .

إنكم لراغبون فى الألبسة الجميلة كالنساء، ولكنكم لا ترغبون فى الغزل وتربية الأطفال. . .

إنكم لراغبون فى أثمار الحقل، ولكنكم لا ترغبون فى حراثة الأرض. . .

إنكم لراغبون فى أسماك البحر، ولكنكم لا ترغبون فى صيدها. . .

إنكم لراغبون فى المجد كالجمهوريين ولكنكم لا ترغبون فى عبء الجمهورية . . .

إنكم لراغبون فى الأعشار والباكورات كالكهنة، ولكنكم لا ترغبون فى خدمة الله بالحق . . .

إذًا ماذا يفعل الله بكم وأنتم راغبون هنا فى كل خير بدون أدنى شر ، الحق أقول لكم: إن الله ليعطينكم مكانا يكون لكم فيه كل شر دون أدنى خير».

وفى أثناء حديث المسيح مع من حوله تتجلى عبارات الحكمة فى صياغة أدبية رائعة .

ففى الفصل الثامن والسبعين نقرأ هذه العبارة :

«الحق أقول لكم: إن الله لم يشفق على سقوط الشيطان ، ومع ذلك فقد أشفق على سقوط آدم .

وكفاكم أن تعرفوا سوء حال من يعرف الخير ويفعل الشر ، فقال حينئذ أندراوس : يا معلم ، يحسن أن ينبذ العلم خوفا من السقوط فى مثل هذه الحال.

أجاب يسوع : إذا كان العالم حسنا بدون الشمس ، والإنسان بدون عينين ، والنفس بدون إدراك ، يكون عدم المعرفة إذًا حسنا . . . الحق أقول لكم: إن الخير لا يفيد الحياة الزمنية كما يفيد العلم الحياة الأبدية».

وفى الفصل الثالث بعد المائة يقول :

«إن بكاء الخاطئ يجب أن يكون كبكاء أب على ابن مشرف على الموت. . .

ما أعظم جفون الإنسان الذى يبكى على الجسد الذى فارقته النفس، ولا يبكى على النفس التى فارقتها رحمة الله بسبب الخطيئة . . . » .

وكلما سنحت الفرصة وحان الوقت وجه المسيح من حوله إلى خطورة القول ببنوته لله أو إلهيته ، وحذرهم من إضلال الشيطان لهم فى هذا المجال، وأكد أنه إنسان من تراب وطين يسير على الأرض وأنه زائل وفان.

كما كرر لهم كثيرا البشارة بمحمد رسول الله ، فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله ، وهى رحمة ينشرها الله رذاذا على المؤمنين كالعنب .

وفى الفصول الأخيرة لإنجيل برنابا نجد الحديث مفصلا عن قصة الصلب بدءا من خيانة يهوذا ثم هجوم الجنود على محل المسيح، فأنقذه الله بأربعة ملائكة أخذوا يسوع من النافذة ، وحملوه إلى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله إلى الأبد.

وعندما دخل يهوذا الغرفة وكان التلاميذ الأحد عشر نياما ، أتى الله بأمر عجب، فتغير يهوذا فى النطق والوجه فصار شبيها بيسوع .

فلما دخلت الجنود ألقوا أيديهم على يهوذا وأوثقوه ساخرين منه؛ لأنه ينكر ـــ وهو صادق ـــ أنه هو يسوع ، وساقوه إلى أورشليم.

وفى مجلس رئيس الكهنة والفريسيين تكلم يهوذا كلمات جنون كثيرة حتى إن كل واحد من الحاضرين ضحك بشدة معتقدا أنه يسوع يتظاهر بالجنون خوفا من الموت.

وشاع الخبر واعتقد الناس كلهم من الكهنة والتلاميذ حتى أم يسوع العذراء أن المسيح صلب ونسوا مقالته :

من أنه يرفع من العالم ، وأن شخصا آخر سيعذب باسمه، وأنه لا يموت إلا وشك نهاية العالم .

وفى الفصل السابع عشر بعد المائتين يقول برنابا :

« فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين ، وهناك صلبوه عريانا مبالغة فى تحقيره ، ولم يفعل يهوذا شيئا سوى الصراخ : بالله لماذا تركتنى، فإن المجرم قد نجا أما أنا فأموت ظلما.

الحق أقول : إن صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع ؛ لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا ، وأنه إنما فعل الآيات التى فعلها بصناعة السحر ؛ لأن يسوع قال : إنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم لأنه سيؤخذ من ذلك الوقت من العالم .

فالذين ثبتوا راسخين فى تعليم يسوع حاق بهم الحزن إذا رأوا من يموت شبيها بيسوع كل الشبه حتى إنهم لم يذكروا ما قاله يسوع .

وهكذا ذهبوا فى صحبة أم يسوع إلى جبل الجمجمة ولم يقتصروا على حضور موت يهوذا باكين على الدوام، بل حصلوا بواسطة « نيقوديموس» ويوسف الأباريماثيائى من الوالى على جسد يهوذا ليدفنوه ، فأنزلوه من ثم على الصليب ببكاء لا يصدقه أحد ، ودفنوه فى القبر الجديد ليوسف بعد أن

ضمخوه بمائة رطل من الطبوب ».

ثم يكشف برنابا عن كذب قصة القيامة، فيروى أنه ذهب مع يوحنا ويعقوب وأم يسوع إلى الناصرة .

أما التلاميذ الذين لم يخافوا الله، فذهبوا ليلا وسرقوا جسد يهوذا وجبؤوه وأشاعوا أن يسوع قام من قبره.

فاضطرب الناس ، وأمر رئيس الكهنة ألا يتعلم أحد عن يسوع الناصرى وإلا نالته العقوبات الصارمة ، ولكن الناس لم يسكتوا فرجم وضرب وطرد كثيرون من البلاد .

وبلغ الخبر أم يسوع وأصبحت حيرى مع برنابا ويوحنا ويعقوب ، حتى حدثت المفاجأة .

لقد أمر الرحمن ملائكته الأربعة المقربين وهم جبريل وميخائيل ورافائيل وأوريل أن يحملوا يسوع إلى بيت أمه وأن يحرسوه هناك مدة ثلاثة أيام متوالية وألا يسمحوا لأحد أن يراه خلا الذين آمنوا بتعليمه ، وجاء يسوع محفوفا بالسناء وقال لهم :

« لا تخافوا لأننى أنا يسوع ، ولا تبكوا فإنى حى لا ميت ».

ودار حوار سجله برنابا فى الفصل التاسع عشر والفصل العشرين بعد المائتين ، والفصل الحادى والعشرين بعد المائتين — بين العذراء ويسوع ، وبين العذراء والملائكة ، وبين برنابا ويسوع .

وفى اليوم الثالث قال يسوع :

« اذهبوا مع أمى إلى جبل الزيتون؛ لأننى أصعد من هناك أيضا إلى السماء، وسترون من يحملنى . . . ».

فذهب الجميع خلا خمسة وعشرين من التلاميذ الاثنين والسبعين الذين كانوا قد هربوا إلى دمشق من الخوف ، وبينما كان الجميع وقوفا للصلاة جاء

يسوع وقت الظهيرة مع جم غفير من الملائكة الذين كانوا يسبحون الله ، فطاروا فرقا من سناء وجهه ، فخروا على وجوههم إلى الأرض ، ولكن يسوع أنهضهم وعزاهم قائلا :

« لا تخافوا أنا معلمكم . . . » .

ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات وقام قائلا :

« أتحسبوننى أنا والله كاذبين ؟

لأن الله وهبنى أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم ، الحق أقول لكم : إنى لم أمت ، بل يهوذا الخائن ، احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم ، ولكن كونوا شهودى فى كل إسرائيل وفى العالم كله لكل الأشياء التى رأيتموها وسمعتموها . . . » .

ثم أدى المسيح صلاة لله وودع أمه وتلاميذه، وحملته الملائكة الأربعة أمام أعينهم إلى السماء .

وفى نهاية الإنجيل يقسم برنابا اختلاف الناس فى يسوع ، يقول :

« فإن فريقا من الأشرار المدعين أنهم تلاميذ بشروا بأن يسوع مات ولم يقم .

وآخرون بشروا بأنه مات الحقيقة ثم قام .

وآخرون بشروا ولا يزالون يبشرون بأن يسوع هو ابن الله ، وقد خدع فى عدادهم بولس .

أما نحن، فإنما نبشر بما كتبت ــ الذين يخافون الله ليخلصوا فى اليوم الأخير لدينونة الله » .

د ــ بين التحقيق العلمى والادعاءات :

هذا الإنجيل نشره باللغة العربية لأول مرة السيد محمد رشيد رضا سنة ١٣٢٦هـ بعد أن ترجمه المؤرخ النصرانى د. خليل سعادة ، وكتب كل منهما

مقدمة عبر فيها عن رأيه فى الإنجيل أصلا ونسخا ، زمانا ومكانا ، تأليفا وترجمة، كما صدرت ترجمة حديثة (سنة ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م) بعنوان:

« إنجيل برنابا ــ دراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام » (١) .

وكانت نقطة الحوار الرئيسية هى :

هل مؤلف هذا الإنجيل مسلم أم نصرانى ؟

وكان مثار السؤال هو أن هناك تعليقات على هامش النسخة الإيطالية بألفاظ وجمل عربية ، بعضها صحيح العبارة محكم الوضع، والآخر سقيم التركيب لا يكاد يفقه معناه .

ومن خلال الحوار بين الفرقاء ، وما لاحظه كل من المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة فى كتابه « محاضرات فى النصرانية » ، والدكتور أحمد شلبى فى كتابه « المسيحية » وما استوعبناه من مطالعة هذا الإنجيل ــ يمكن أن نثبت أن كاتب هذا الإنجيل نصرانى أصيل ، وهو يمثل جانبا من الفكر العقدى النصرانى لم يحظ باهتمام الباحثين وعلماء اللاهوت الكنسى ،ونؤكد هذا الاتجاه بما يلى:

١ ــ هذا الإنجيل مشتمل على أحداث ووقائع وقصص لا يكتبها إلا من هو على دراية تامة وعلم وافر بالأسفار اليهودية ، ومعايشة تامة للعهد الأول للنصرانية .

وشخصية المسيح لم يكتب عنها إلا تلاميذه ومن آمن به، ولم يذكر التاريخ عنه شيئا حتى إن بعض الباحثين أنكر وجود المسيح وعده أسطورة (٢)، فإذا جاء برنابا وكتب عن هذه الشخصية كتابة صافية لا يكون الكاتب إلا أحد الحواريين .

٢ ــ لا يعقل بحال من الأحوال أن ينسب هذا الإنجيل إلى أصل إسلامى

---

(١) للأستاذ سيف الله أحمد فاضل ، ط . دار القلم بالكويت .

(٢) راجع المحاورة الأولى ص ٢٣.

أو كاتب مسلم لأكثر من سبب، فهو وإن وافق القرآن المجيد فى بشرية المسيح وعدم صلبه إلا أن به كثيرا من الإشارات والأحكام التى لا يستسيغها العقل والفكر فى الإسلام .

فعندما تحدث عن قصة آدم والأكل من الشجرة زعم أن إبليس بعد طرده من الجنة تحايل على الدخول إليها فى فم الحية وبطنها» (١).

وهذا زعم إسرائيلى لا يسانده نص إسلامى.

وفى حديثه عن أيوب عليه السلام ذكر أنه أصيب بداء عضال حتى كانت الديدان تخرج من جسده مدة سبع سنين (٢) .

وهذا يتنافى إسلاميا مع عصمة الأنبياء وتنزههم عن المنفرات.

وفى حكاية عن قصة رفع المسيح ذكر أن الله أمر الملائكة الأربعة المقربين بحمل يسوع وهم جبريل وميخائيل ورافائيل وأوريل (٣) .

ولم يعهد إسلاميا إطلاق هذه الأسماء الثلاثة الأخيرة ، فميخائيل هو ميكائيل ، ورافائيل هو عزرائيل ، وأوريل هو إسرافيل .

وورد فى إنجيل برنابا أن المسيح نزل بعد رفعه ليطمئن أمه العذراء ، ومكث ثلاثة أيام معها .

وهذا لم يرد إسلاميا ولا يعرف فى الفكر الإسلامى.

وبمطالعة بعض التشريعات التى ذكرها إنجيل برنابا نجد أنه يأمر بقتل السارق والزانى والقاتل.

وهذا الحكم بإطلاقه لا يصح إسلاميا ؛ لأن عقوبة السارق قطع اليد ، وعقوبة الزانى المحصن الرجم وغير المحصن الجلد .

---

(١) راجع :الفصل الأربعين من إنجيل برنابا .

(٢) راجع :الفصل المائة من إنجيل برنابا.

(٣) راجع :الفصل الخامس عشر بعد المائتين والتاسع عشر بعد المائتين .

٣ — إن إنجيل برنابا وجد فى جو نصرانى خالص ووسط دينى محض فهو من مكتبة البابا سكتس الخامس ، وعثر عليه راهب مقرب هو فرامرينو وتنقل من أمستردام إلى البلاط الملكى فى فيينا ، وترجم إلى الأسبانية ، وتعاهده ترجمة وتعليقا ونشرا مشاهير الأساتذة فى أكسفورد .

فما صلته بالإسلام والمسلمين بعد ذلك ؟

وإن التعليقات العربية لا تنبئ عن أصل عربى، فهى ركيكة الأسلوب وكاتبها على جهل فاضح باللغة ، فهو يكتب « سبحان الله » بتقديم المضاف إليه هكذا « الله سبحان » ، ويكتب « ذكر قصة إدريس » هكذا « ذكر إدريس قصة» .

فالاحتمال هو أن الراهب الذى أسلم بعد اطلاعه على هذا الإنجيل كتب تعليقات باللغة العربية التى تعلمها دون إجادة .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة :

« ومن الغريب أن يتخذ من التعليقات العربية دليلا على أصله الإسلامى ولا يتخذ من صلبه الإيطالى دليلا على أصله المسيحى » [١] .

٤ — من المؤكد أن النسخة الإيطالية ليست هى الأصل الذى كتبه المؤلف ، بل هى ترجمة للأصل المفقود، شأنها فى ذلك شأن كل الأناجيل الأربعة.

وبالتالى فإن ذكر اسم الرسول محمد ﷺ صراحة لا يستغرب ، فإن دأب النصارى فى الترجمة هو التساهل فى الأسماء والصفات ، وشواهد ذلك كثيرة فى ترجماتهم للعهدين القديم والجديد ، وقد تعقبها الشيخ رحمة الله الهندى فى كتابه « إظهار الحق » [٢] .

ويسوق السيد محمد رشيد رضا واقعة يقول فيها :

« وقد نقل الشيخ محمد بيرم عن رحالة إنجليزى أنه رأى فى دار الكتب

---

(١) محاضرات فى النصرانية : ص ٦٥ .

(٢) إظهار الحق : ص ٣٤٦.

البابوية فى الفاتيكان نسخة من الإنجيل مكتوبة بالقلم الحميرى قبل بعثة النبى ﷺ ، وفيها يقول المسيح :

« ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

وذلك موافق لنص القرآن بالحرف ، ولكن لم ينقل عن أحد من المسلمين أنه رأى شيئًا من هذه الأناجيل التى فيها البشارات الصريحة.

فيظهر أن فى مكتبة الفاتيكان من بقايا تلك الأناجيل والكتب التى كانت ممنوعة فى القرون الأولى ما لو ظهر لأزال كل شبهة عن إنجيل برنابا وغيره.

٥ ـــ إن ادعاء أن يضع هذا الإنجيل مسلم ابتداء أو يهودى أو نصرانى أسلم يعتريه الشك من كل جانب.

فإن المسلمين قديما وحديثا ناقشوا النصارى وجادلوهم وألفوا فى ذلك كتبا كثيرة، ولم يرد لهذا الإنجيل ذكر فى كتبهم ، مع أنه لو وقفوا عليه لكان أيسر فى الحجة على النصارى ، وأقرب إلى إلزامهم.

وكذلك أدخل فى الشك أن يضعه يهودى أو نصرانى هداه الله إلى الإسلام؛ لأن هناك طريقا أخرى غير الكذب ، وهى التأليف لنصرة الإسلام ، وبيان محاسنه وذكر أسباب ترك النصرانية أو اليهودية.

ولهذا سوابق وشواهد كثيرة قديما وحديثا ، فكم من يهودى أو نصرانى أسلم وكتب مؤلفات حول إسلامه ، ونذكر منهم القس إنسلم تورميدا المسمى عبد الله الترجمان الأندلسى وكتابه : « تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب» [(١)] .

وحسبنا اليوم القسيس إبراهيم خليل فيلبس الذى أصبح الحاج إبراهيم خليل أحمد وألف كتابا بعنوان : «محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن» .

وكذلك الأستاذ محمد مجدى مرجان يقول عن نفسه :

---

(١) حققه د . محمود على حماية، ط . دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٤م.

« ولدت لأعبد المسيح ولأرفعه إلها فوق الآلهة ، فلما شببت شككت فبحثت عن الحقيقة ونقبت فعرفت ونادانى المسيح : يا عبد الله ، أنا بشر مثلك فلا تشرك بالخالق وتعبد المخلوق ، ولكن اقتد بى واعبده معى ، ودعنا نبتهل له سويا : أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك، إياك نعبد وإياك نستعين ، يا عبد الله ، أنا وأنت وباقى الناس عبيد الرحمن .

فآمنت بالله وصدقت المسيح وكفرت بالآلهة المصنوعة » . وقد ألف كتابين هما : « الله واحد أم ثالوث » ، « المسيح إنسان أم إله »؟ [1] .

٦ ـ هناك حقيقة هامة تستخلص من مطالعة هذا الإنجيل ، فهو يهدم الأساس الذى اعتمدته الكنيسة فى قبول الأناجيل ، وهو الإلهام ، ويؤكد برنابا أنه يكتب وقائع وأحداثا عاصرها ليكشف الدعاوى الزائفة التى خدع الشيطان بها كثيرا من الأحبار والرهبان ، وأن هذا القصص الذى كتبه بولس وأضرابه حول المسيح ورسالته لا يمثل الإنجيل الذى أنزله الله على المسيح عليه السلام .

---

(١) الناشر دار النهضة العربية .

المحاورة الرابعة :

العقائد الوثنية
فى الديانة النصرانية

* عرض عام .
* عقيدة التثليث عند الوثنيين والنصارى.
* تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة.
* ولادة أحد الآلهة الذين قدموا أنفسهم فداء عن الناس .
* وقائع الميلاد وما صاحبه من خوارق العادات.
* قيام أولئك الآلهة من بين الموتى .
* مقابلة النص الصريح بين كرشنا ويسوع المسيح
* كلمة تعليق.



عـرض عـام

عنوان هذه المحاورة هو اسم كتاب صدر فى بيروت عام ١٣٣٠ هـ لمؤلفه الأستاذ / محمد طاهر التنير ، ووصلتنى نسخة مصورة ، ساقها الله إلىَّ وأنا أعتزم كتابة هذه المحاورات [١] .

وكنت يومها رئيسا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية ، فى كلية التربية ـ فرع جامعة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة ـ فحمدت الله تعالى كثيرا، وعددت ذلك من الفأل الحسن . وعند تصفحى للكتاب وجدت هذا التعليق متصدرا:

هذه النسخة نادرة كل الندرة ، ولا توجد بالمكتبات العامة فى العواصم والمدن الكبرى فى العالم العربى والإسلامى ، إلا نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، محفوظة فى خزانة حديدية ، ومحظور بأمر الحكومة السورية إظهار النسخة الموجودة بالمكتبة ، وممنوع تصويرها منعًا باتا إلا بإذن من رئاسة مجلس الوزراء ورئيس الجمهورية .

وعندما طبع المؤلف كتابه هذا ببيروت كان يقيم بها ، فلما طبع أرسل نسخا منه إلى الأفراد والهيئات ، وبخاصة النصرانية ، ثم غادر بيروت إلى الشام، وأخذ النصارى يجمعون نسخ الكتاب من الأسواق والمكتبات التجارية، وأحرقوا كل ما وصل إلى أيديهم .

وبالجملة فهو كتاب جدير بأن يطبع ويوزع ، وجدير بأن يترجم . وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى سببين لتأليف هذا الكتاب :

أولهما : كثرة الكتب المؤلفة فى زمنه ، والتى تهاجم الإسلام والمسلمين

---

(١) قدمها إلىَّ طالب ـ يومئذ ـ نجيب هو الأستاذ / وجدى أحمد خاشقجى ، وقد طبع الكتاب بعد ذلك عدة طبعات فى القاهرة والكويت .

افتراء وتضليلا ، مثل : كتاب الهداية ، والباكورة الشهية ، وتنوير الأفهام فى مصادر الإسلام ، وميزان الحق ، ودعوة المسلمين إلى مطالعة الكتاب الثمين.

ويقول المؤلف ــ رحمه الله تعالى :

وبما أن شرفنا وديننا يمنعاننا من مقابلتهم بالمثل، رأينا أن خير وسيلة وأحسنها أن نزف إليهم شيئا من المقابلات الدينية ، حتى يرى كل واحد منهم إن كان على الهدى أو فى ضلال مبين ، ويرى من منا المتمسك بخرافات تلك الأمم الوثنية .

السبب الآخر : هو نصرة الحقيقة ، والقيام بواجب الأخوة الإنسانية ؛ لأنه فرض فى ديننا دعاء الناس إلى الحق ، وواجب علينا أن ندعوهم لمشاركتنا فى أحسن شىء عندنا وهو ديننا.

وقد نفى المؤلف فى مقدمته أن يكون الباعث على تأليف كتابه هو التعصب أو الكره لمن يخالفنا فى الدين .

وأكد المؤلف أنه لم يأت بشىء جديد من عند نفسه ، وإنما جاء بحقائق تاريخية أثبت مراجعها ومصادرها ، التى كتبها مشاهير علماء النصارى الأوربيين.

وضمن المؤلف كتابه بعض الرسوم والصور التى توضح معتقدات الشعوب ، والتى تضمها متاحف كبرى فى العالم.

وكان إهداء الكتاب إلى :

صليبى القرن العشرين والمبشرين

وساق المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ ستة وأربعين مرجعا اعتمد عليها فى تأليف كتابه ، كلها باللغة الإنجليزية ، وأهمها:

دوان : خرافات التوراة والإنجيل وما يماثلها فى الديانات الأخرى.

انمن : العلامات الوثنية القديمة فى النصرانية الحديثة.

لاندى : المسيحية الأثرية.

فسك : الخرافات ومخترعوها.

والكتاب قائم على ثمانية عشر فصلا تتعقب النصرانية وطقوسها ، وترجع بها إلى الحقائق الثابتة عن الأديان الوثنية القديمة ، بل إنه يؤكد تطابق نقولات الإنجيل حول المسيح عليه السلام بمقولات أصحاب الوثنيات حول معبوداتهم.

وقد اتخذ المؤلف الفصلين الأخيرين من كتابه لمقابلة نص بنص ، ففى الفصل السابع عشر : يقابل ما يقوله الهنود الوثنيون عن « كرشنا » بما يقوله النصارى عن يسوع المسيح، وتكون النتيجة هى التطابق الكامل.

وفى الفصل الثامن عشر : يقابل ما يقوله الهنود الوثنيون عن« بوذا» بما يقوله النصارى عن يسوع المسيح ، وتكون النتيجة أيضا هى التطابق الكامل.

ويعزو المؤلف النصوص إلى مواضعها فقرة فقرة.

وسنختار بعض الفصول لعرضها هنا ؛ كى تتضح الحقيقة لكل ذى عينين.

عقيدة التثليث

عند الوثنين والنصارى

يؤكد المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بناء على ما نقله عن كثير من الباحثين أن التعاليم الدينية عند الأمم الوثنية القديمة جاء فيها القول باللاهوت الثالوثى ، أو الإله ذى الأقانيم الثلاثة .

فأشهر معبودات الهند هو برهمة ، وفشنو ، وسيفا ، ويطلقون عليها بلغتهم « ترى مورتى » ، وهى جملة مركبة من كلمتين سنسكريتين :

* « ترى » ومعناها ثلاثة .

* « مورتى » ومعناها هيئات أو أقانيم .

ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف هى :

الألف ، والواو ، والميم .

ويلفظونها « أوم » ، ولا ينطقون بها إلا فى صلاتهم.

ويقول البرهميون فى كتبهم الدينية : إن أحد الأتقياء ، واسمه « اتنيس» رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لإله واحد ، فتوسل ببرهمة ،وفشنو ، وسيفا قائلاً :

يا أيها الأرباب الثلاثة ، اعلموا أنى أعترف بوجود إله واحد ، فأخبرونى أيكم الإله الحقيقى ؛ لأقرب له نذرى وصلاتى ؟!

فظهرت الآلهة الثلاثة وقالوا له :

اعلم أيها العابد ، أنه لا يوجد فرق حقيقى بيننا ، وأما ما تراه من ثلاثة فما هى إلا بالشبه أو الشكل ، والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو

واحد بالذات . . . » .

وقد وجد فى أنقاض هيكل قديم ــ صنم له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ، والمقصود منه التعبير عن الثالوث .

وجاء فى الكتب الدينية الصينية أن أصل كل شىء واحد ، وهذا الواحد الذى هو أصل الوجود اضطر إلى إيجاد ثان ، والأول والثانى انبثق منهما ثالث، ومن هذه الثلاثة صدر كل شىء .

والمصريون القدماء كانوا يعبدون إلهًا مثلث الأقانيم ، مصورًا فى أقدم هياكلهم ، وهو جناح طير ، ووكر ، وأفعى .

ويعتقد أن تسمية الأقنوم الثانى من الثالوث المقدس كلمة هو من أصل وثنى مصرى ، دخل فى غيره من الديانات .

وأبولو المدفون بدلهى يدعى : الكلمة .

وفى علم اللاهوت الإسكندرى ــ الذى كان يعلمه بلاتو قبل المسيح ــ أن الكلمة هى الإله الثانى ، ويدعى أيضًا : ابن الله البكر .

وكان الفرس يدعون « متروسا » الكلمة ، والوسيط ، ومخلص الفرس .

وكان الآشوريون يدعون « مردوخ» الكلمة ، ويتوسلون إليه بهذا الدعاء:

« أنت القادر الموفق ، ومانح الحياة .

أنت الرحيم بين الآلهة .

أنت ابن الله البكر ، خالق السموات والأرض ، ومالكها ، ليس له شبيه .

أنت الرحيم، ومحيى الأموات » .

وساق المؤلف أقوال المؤرخين لإثبات هذا الثالوث فى عبادة كل من الكلدانيين ، والفنلنديين ، والإسكندنافيين ، والمكسيكيين .

وأخيرًا أتى إلى النصارى وأكد أن الأسماء والألقاب التى يطلقونها على المسيح هى نفس الأسماء والألقاب التى أطلقها الوثنيون على ثالوثهم مثل :

ابن الله البكر	فى الرسالة إلى العبرانيين
والمخلص	فى يوحنا
والراعى الصالح	فى مرقس
والحمل	فى يوحنا
والعجل الأحمر	فى برناباس
والأفعى النحاسية	فى يوحنا
والثور	فى ترتولين
والخروف	فى رؤيا يوحنا

ويكاد يتطابق النص الإنجيلى مع مثيله فى الأديان الوثنية ، وعلى سبيل المثال ما جاء فى رسالة يوحنا الأولى ــ الإصحاح الخامس ــ العدد ٧ :

« فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة ، الآب، والكلمة، وروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم فى واحد » .

تقديم أحد الآلهة ذبيحة
فداء عن الخطيئة

يعتقد الهنود بأن « كرشنا » المولود البكر الذى هو نفس الإله « فشنو » والذى لا ابتداء له ولا انتهاء ــ تحرك حنوا كَىْ يخلص الأرض من ثقلها ، فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه .

ويصفون « كرشنا » بالبطل الوديع والمملوء لاهوتا ؛ لأنه قدم شخصه ذبيحة ، ويقولون : إن عمله هذا لا يقدر عليه أحد سواه .

ويذكر الهنود موت « كرشنا » بأشكال متعددة ، وأهمها أنه مات معلقًا على شجرة سمر بها ، وضرب بحربة .

ويزعم البوذيون أن « بوذا » إنسان وإله معًا ، وأنه تجسد بالناسوت فى هذا العالم ليهدى الناس ، وأنه قال :

« دعوا كل الآثام التى ارتكبت فى هذا العالم تقع علىَّ ؛ كى أخلص العالم » .

ويعد المصريون « أوزوريس » أحد مخلصى الناس ، وأنه بسبب جده لعمل الصلاح يلاقى اضطهادًا ، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل .

ويحترم المصريون « أوزوريس » ، ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة .

وفى كيفية ظهور « أوزوريس » على الأرض وموته وقيامته من بين الأموات ــ ما يمكن أن يكون أصلاً لعقيدة الصلب فى النصرانية .

ويعبد الفريجيون (سكان آسيا الصغرى) « أتيس » ، ويسمونه: الولد الوحيد المخلص ، ويمثلونه برجل مقيد على شجرة وتحت رجليه حمل ، شبيه

« أبولو » الذى كان يعبده الميليتيون ، فإنهم يقولون : إنه مات بالجسد ، وإنه حكيم عمل العجائب ، وقد قبض عليه جنود الكلدانيين وقتلوه وسمروه كى يزداد تألما ، وأنه صلب لأجل خلاصهم .

وكان الفرس يدعون « مترا » الوسيط بين الله والناس ، والمخلص الذى بتألمه خلص الناس ، ففداهم ، ويدعونه الكلمة ، والفادى ، ويعتقدون أيضًا أن « زروستر » مرسل إلهى ليخلص الناس من الطرق الشريرة .

وإلى هذا الوقت نرى أتباعه يدعونه « زروستر الحى ،المبارك ، المولود البكر ، الواحد ، الأبدى » .

وعبد المكسيكيون إلهًا مصلوبًا ، دعوه المخلص والفادى ، ويدعون ابن الله بلغتهم :« باكوب » ، و « أو بو كو » .

فإذا جاء النصارى وقالوا بمسألة صلب المسيح وفدائه للبشر ، فإنما هو ترديد لأسطورة الآلهة المزعومة التى عبدها الوثنيون على مدى التاريخ قبل المسيح عليه السلام .

ولادة أحد الآلهة الذين قدموا
أنفسهم فداء عن الناس

يقول الهنود : إن « كرشنا » هو ابن العذراء النقية الطاهرة « ديفاكى »، ويدعونها والدة الإله .

وجاء فى الكتاب الهندى المدعو «بها كانات بورون » أن « كرشنا » قال :

« سأتجسد فى متوار بيت «بادوا » ، وأخرج من رحم « ديفاكى »، أولد وأموت وقد حان الوقت لإظهار قوتى وتخليص الأرض من حملها » .

ويعتقد البوذيون أن الإله « بوذا » لما عزم على النزول من السماء إلى الأرض ليولد عليها ، نادى ملائكة السماء وسكان الأرض قائلاً :

« يا أيها الأموات ، زينوا أرضكم ؛ لأن « بوذا شومهتو » العظيم سينزل عما قريب من «توسيا » ويولد بينكم ، فأعدوا كأسين لوقت ظهوره » .

ويقولون أيضًا : « وأما الرحم الذى يحل فيه الإله « بوذا » ليتجسد إنما هو كوعاء وضعت فيه ذخيرة ، وليس أحد من البشر يكون الحمل به كما كان ببوذا ؛ لأنه يحل فيه بغير إفراز ، ولما حملته « بها مايا » لم تعد تشتهى رجلاً ، وعاشت عذراء ».

ويعتقد سكان سيام بإله ولد من عذراء يدعونه « الإله المخلص » ، واسمه بلغتهم : « كودم » ، وأمه فتاة عذراء حسنة المنظر ، أتاها وحى من الإله فهجرت الناس وذهبت إلى الأحراج التى قل أن يجتاز بها الناس ، وانتظرت الحمل بالإله ، كما أتاها الوحى ، وفى يوم من الأيام بينما كانت تصلى حبلت من أشعة الشمس التى وقعت عليها ، وعندما أحست بالحمل ذهبت من هنالك إلى شاطئ بحيرة ما بين سيام وكمبوديا ، وهناك وضعت غلاما سماويًا ، ولما

شب صار مثالاً ومنبع الحكمة وفعل العجائب .

ويقول المصريون : إن « هورس » المخلص ولد من العذراء « إيزيس »، وأنه المنبثق الثانى من «عامون »، ويقولون : الابن المولود ، ويصورونه إما على يدى أمه ، أو على حضنها ، وقد ترجم العلامة شمبليون ما يأتى عن الخط الهيروغليفى :

« أنت الإله المنتقم ، وابن الإله .

أنت « هورس » المنتقم الذى أعلن عنك « أوزوريس » أنك المولود من الإله « إيزيس » .

ومن الغريب أن اليونانيين القدماء كانوا يدعون أبطالهم آلهة ، وأولاد آلهة، وأنهم ظهروا بالناسوت ، ومن بعد موتهم انضموا مع الآلهة ، وكانوا يقربون لهم الذبائح والعبادات .

وكان الرومانيون يؤلهون ملوكهم ، ويعبدونهم ، وينحتون لهم التماثيل ، وكان سكان المكسيك قبل ذهاب «كولومبو » إليها بأجيال عديدة يعبدون إلهًا مخلصًا اسمه : « كوتز لكوتل » ولد من عذراء بتول طاهرة يسمونها : ملكة السماء .

فإذا قارنا ذلك بما يقوله النصارى عن مريم العذراء ، وما ينشدون من ترانيم فى حقهـا ، وما يلقبـونها به من ملكة السماء ، ووالدة الإله ، الممتلئة نعمة ، وصاحبة المجد على الأرض وفى السماء ، وما يصورونها به من صور ورسوم ، وهى محتضنة ولدها المسيح ، نجد التطابق يكاد يكون تاما .

وقائع الميلاد وما صاحبه من خوارق العادات

ساق المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ مجموعة فصول تحكى هذه الوقائع عند الوثنيين والنصارى تحت هذه العناوين :

ــ النجوم التى ظهرت عند ولادة أحد الآلهة .

ــ الجنود السماوية التى ظهرت تسبح الله عند ولادة أحد الآلهة .

ــ الاستدلال على الطفل الإلهى وإكرامه بالهدايا .

ــ محل ولادة بعض الآلهة .

ــ القول عن الآلهة المتجسدة: إنها من سلالة ملوكانية .

وعلى سبيل المثال :

١ ــ يرى الوثنيون أن السموات بشرت بولادة بوذا ، وظهر نجم مشرق فى الأفق ، يدعونه فى كتبهم المقدسة نجم المسيح .

ويعتـقد الصينيون أنه عند ولادة « يو » المولود من عذراء ظهر نجم دل عليـه .

وكان الرومانيون يقولون بظهور نجم عند ولادة القياصرة .

وجاء فى إنجيل متى :

« ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاؤوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟ فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له . . . » (١) .

---

(١) الإصحاح الثانى العدد ١ ، ٢ .

ويتساءل المؤلف :

هل النجم الذى ظهر عند هذه الأحداث كان من النجوم المنتشرة فى الفضاء البعيدة عنا ألوف ملايين الأميال ، والتى هى أعظم من الأرض بملايين المرات ، أو صار إيجاده حديثًا لأجل هذه الغاية خاصة ـــ أى للدلالة على محل ولادته ؟!

وكم كانت مسافة اقترابه من الأرض ؟!

وكيف لم يحصل بإيجاده خلل فى ناموس الجاذبية ؟!

٢ ـــ يعتقد الوثنيون أنه عند ميلاد بوذا سمع سكان الأرض أنغام موسيقى مطربة ، وأمطرت السماء أزهارًا أو عطرًا ، وهب نسيم لطيف ، وأضاء نور عجيب .

ويقول الصينيون : إنه ظهرت علامات سماوية قبل ميلاد كونفوشيوس الفيلسوف الصينى ، وفى المساء الذى ولد فيه سمعت أمه بأذنها نغم موسيقى سماوية .

ويقول المصريون القدماء : إنه عند ولادة « أوزوريس » سُمِعَ مُنادٍ يقول : ولد رب لنا اسمه « أوزوريس » .

ولما ولد أبولو من العذراء « لاتونا » ـــ فى جزيرة ديلوس ـــ حدث ابتهاج عند الآلهة الأحياء فى أوليميوس ، وتبسمت الأرض وضحكت السماء .

وهذا الذى قالته الأمم الوثنية البائدة عن ظهور الجنود السماوية قالت النصارى مثله عن ولادة المسيح .

ففى إنجيل لوقا :

« وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين لله وقائلين: المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة » .

٣ ـــ ومن أقاصيص الطفل الإلهى « بوذا » أنه عند ولادته زاره رجال

حكماء ، وعرفوا علامات لاهوتية ، ودعوه إله الآلهة ، وأنه أتى مع الغرباء قديس اشتعل رأسه بالشيب واسمه « اسيتا » ليراه ، وكان لا يسمع الأشياء الأرضية ، لكنه سمع الأصوات السماوية وسمع وهو يصلى تحت الشجرة نشيدًا عن ولادة « بوذا » .

ويقال : إنه لما ولد « سقراط » قبل المسيح بتسع وستين وأربعمائة سنة أتى إلى محل ولادته ثلاثة رجال مجوس من الشرق وأهدوه ذهبًا وطيبًا .

فالاستدلال على المولودين الإلهيين وتقديم الهدايا الثمينة لهم ممن عرفهم من الرعاة أو المجوس أو المنجمين كان سائدًا فى البيئات الوثنية ، وتلقفه العقل الصليبى وسجله عن المسيح .

ففى إنجيل متى :

« فلما سمعوا من الملك ذهبوا ، وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبى ، فلما رأوا النجم فرحوا فرحًا عظيمًا جدًا ، وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ، ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبًا ولبانًا ومرا » (١) .

وجاء فى إنجيل لوقا أن الذين رأوا نجم المسيح رعاة وليسوا مجوسًا :

« ولما مضت عنهم الملائكة إلى السماء ، قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض : لنذهب الآن إلى بيت لحم وننظر هذا الأمر الواقع الذى أعلمنا به الرب» (٢) .

٤ ــ ولد « كرشنا » المقدس عند الهنود فى غار ، وبعد ولادته وضع فى حظيرة غنم ورباه أحد الرعاة الأمناء .

وعندما ولد « هوتس » ابن السماء عند الصينيين تركته أمه وهو صغير وأحاطت الغنم والبقر به وحمته من كل سوء .

(١) الإصحاح الثانى العدد ٦ : ١١ .
(٢) الإصحاح الثانى العدد ١٥ .

ولما ولد « أبولو » أحاط بمهده دائرة من النور ، وغسلته جنود السماء بماء صاف ومنطقوه بالذهب ، وقد وضعته أمه تحت شجرة .

ونفس الاتجاه كان عند النصارى ، ففى إنجيل لوقا :

«فجاؤوا مسرعين ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعًا فى المذود» [1].

لقد ولد المسيح فى المزود . . . !!

٥ ــ يعتقد الوثنيون أن مخلصهم من سلالة ملوكانية وأن أجداده من جهة أمه أو أبيه متصلون بالآلهة .

كذلك قالت النصارى فى المسيح : إنه من سلالة ملوكانية ، ويصلون نسبه بداود الملك ، كما هو مذكور فى إنجيل متى الإصحاح الأول ، وإنجيل لوقا الإصحاح الثالث ، وهذا عدا الأعداد الكثيرة الموجودة فى الأناجيل المدعو فيها ابن داود ، حتى إن الشيـاطين كانت تدعـوه ابن داود عنـدما يخـرجها من الناس .

---

(١) الإصحاح الثانى العدد ١٦ .

قيام أولئك الآلهة
من بين الأموات

يعتقد وثنيو الهند قيام « كرشنا »من الموت وصعوده إلى السماء بجسده ، وأنه لما كان صاعدًا ظهر نور أضاء الأرض والسماء ، وكان محيطًا به أرواح سماوية ، وكان نور تلك الليلة التى قام فيها من بين الأموات كالنور الذى ظهر حين ولادته فى بيت « فسودينا » ، وأن نوره تبعه إلى الفردوس ، وشاهده الناس ، وقالوا :

هو ذا « كرشنا » صاعد إلى وطنه فى السموات . . . !!

وزاما ــ وهو « فشنو » بأحد الأدوار التى ظهر فيها بالناسوت ــ بعد ما أتم أعماله الأرضية صعد إلى السماء ، وعاد إلى لاهوته، وببركة اسم « زاما » والإيمان به تغتفر الخطايا ، وكل من يذكر اسمه ويسجد له بإخلاص عند موته تغفر ذنوبه كلها .

وقصة قيام « بوذا » من بين الأموات تماثل ما مر ، ويدعونه « كميديو ، وكاما » ، ويقولون عنه : لما مات سكبت الدموع عليه وحزن أهل السموات والأرض ؛ حيث إنهم خسروا إله المحبة ، حتى إن «مهاديو » (أى الإله العظيم) حزن ونادى :

قم أيها المحب المقدس . . . !!

فقام « كاما » (أى بوذا) حيًا ، وبدلت الأحزان والأتراح بالأفراح ، وهاجت السماء ونادت فرحة :

عاد الإله الذى ظن أنه مات وفقد . . . !!

وعظم خوف جهنم ، وأبدت السماء تعا ـًا ، وأزيل عنه الكفن ، وفتح

القبر بقوة إلهية ، وصعد بجسده إلى السماء بعد ما أتم عمله .

ويعتقد الصينيون أنه لما أتم « لأوكيون » (المولود من عذراء) أعماله الخيرية وإحساناته فى الأرض صعد بجسده إلى الفردوس ، ويعدونه إلهًا .

ويعتقد المجوس بألوهية « زورستر » ويقولون : إنه أرسل ليفدى الناس ويخلصهم من الطرق الشريرة ، وإنه بعد ما أتم أعماله على الأرض صعد إلى السماء ، وأتباعه إلى هذا اليوم يذكرونه باحترام وإجلال ، ويقولون : «زورستر» الحى والمبارك والنجم ، وما شاكل ذلك من الأسماء والألقاب .

والمخلص « أدونى » ، ويدعى : « تموز » أيضًا ، بعد ما قتلوه قام من بين الأموات ،وقصة موته وقيامه حكاها « جوليوس قرمسيوس » ، وكان هذا الراوى معاصرًا لقسطنطين ، قال : فى ليلة معينة بينما كان القداس جاريًا لتعظيم «أدونى » جاؤوا بتمثال ووضعوه على مهد ، وشرع القوم يندبون بأناشيد الحزن والرثاء ، ومن بعد ذلك جاء الكاهن وصار يمسح أفواه المرتلين بزيت ، وهو يقول:

« ثقوا أيها القديسون برجوع إلهكم واتكلوا على ربكم الذى قام من الموت ، فبآلامه استجلب لنا الخلاص . . . !! » .

وكان أهالى الإسكندرية يعملون جنازًا بأبهة واحترام تذكارًا لموت «أدونى»، ويحملون تمثاله بوقار إلى قبر مُعدٌ لهذه الغاية ، ويضعونه فيه بإجلال ، وقبل ترتيلهـم أناشيد رجوعه حيًا يعـملون فصولاً تمثل الأحزان والأتراح لآلامه وموته ، ويظهرون الجرح الذى أصابه بجسده بضربة حربة ، وهذا العيد يقع فى اليوم الخامس والعشرين من شهر آذار .

والمصريون القدماء يعتقدون أن « أوزوريس » المخلص المولود من العذراء قام من بعد موته ، وكانوا يعيدون عيد الفصح بفصل الربيع ،ويوقدون السرج على قبره ، ويرتلون الأناشيد المحزنة ، وقبل العيد يحزنون عليه ثلاثة أيام يقضونها فى النحيب ، ثم يباشرون عيد قيامه بالمسرات والأفراح .

ومخلص الفريجيين يسمى « أتيس » وهو إلههم ، قتل ظلمًا ثم قام من بين الأموات ، ويحكون قصة ولادته وقيامه بروايات مختلفة لكن موضوعها واحد ، ويدعونه الواحد الذبيح الذى عاد إلى الحياة بتاريخ الخامس والعشرين من آذار ، ويسمون هذا اليوم « هيلاريا » أو عيد الفصح الأصلى .

ومخلص الفرس يسمى «مترات » ، هو الوسيط بين الله والناس ، مات قتيلاً ثم قام من بين الأموات ، وفى يوم عيد قيامته يوم الخامس والعشرين من آذار يأتون بشاب يتماوت ردحا قصيرًا ، ثم يقوم على أنه عاد حيًا ، وما ذلك إلا تمثيل لموته وقيامه .

ويعتقدون أن بتألمه نالوا الخلاص ، وتقعد الكهنة على القبر الذى يعملونه فى معابدهم يبكونه فى ظلام الليل ثم يشعلون السرج بغتة وينادون :

« افرحوا وتهللوا أيها القديسون المخلصون ، فقد عاد ربكم الذى بموته وآلامه وأوجاعه نلنا الخلاص . . . !! » .

وكان المصريون والفرس والصينيون وغيرهم يصبغون البيض بألوان مختلفة ويتهادونها ، ومنهم من كان يحفظها إلى العام القابل لليوم الذى قام فيه أحد أولئك الآلهة المتجسدة من بين الأموات ؛ رمزًا لإعادة الحياة .

وهكذا استمد النصارى عقيدتهم فى قيامة المسيح من عقائد الوثنيين القدماء .

وجاء فى إنجيل متى الإصحاح ٢٨ :

« فأجاب الملاك وقال للمرأتين : لا تخافا أنتما ، فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ، ليس هو هاهنا ؛ لأنه قام كما قال ، هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعًا فيه ، واذهبا سريعًا ، قولا لتلاميذه : إنه قد قام من الأموات، ها هو يسبقكم إلى الجليل ، هناك ترونه ، ها أنا قد قلت لكما » .

مقابلة النص الصريح
بين كرشنا ويسوع المسيح

قام المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بمقابلة ما يقوله الهنود الوثنيون عن كرشنا بما يقوله النصارى عن يسوع المسيح .

وذكر المؤلف ستة وأربعين نصا تظهر بجلاء اقتفاء النصارى فى عقائدهم للوثنيين فى عقائدهم .

وهذه هى بعض النماذج :

أقوال الهنود الوثنيين فى كرشنا ابن الله	أقوال النصارى فى يسوع المسيح ابن الله
١ ـ «كرشنا» هو : المخلص ، والفادى ، والمعزى ، والراعى الصالح، والوسيط ، وابن الله ، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس .	١ ـ يسوع المسيح هو : المخلص، والفادى ، والمعزى ، والراعى الصالح ، والوسيط ، وابن الله ، والأقنوم الثانى من الثالوث المقدس ، وهو الآب والابن وروح القدس .
٢ ـ عرف الناس ولادة «كرشنا» من نجمه الذى ظهر فى السماء .	٢ ـ فلما سمعوا من الملك ذهبوا، وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبى .

٢ ـ كتاب تاريخ الهند ، المجلد الثانى ص٣١٧ . ٢ ـ إنجيل متى الإصحاح الثانى ـ العدد ٩ .

٣ ــ وآمن الناس بـ«كرشنا» واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا من صندل وطيب.	٣ ــ وأتوا إلى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه ، فخروا وسجدوا له ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا.
٤ ــ وسمع « ناندا » خطيب «ديفاكى» والدة «كرشنا» نداء من السماء يقول له: قم وخذ الصبى وأمه، فهربهما إلى كاكول، واقطع نهر جمنة؛ لأن الملك طالب إهلاكه.	٤ ــ وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلا: قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك؛ لأن هيردوس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه .
٥ ــ وسمع حاكم البلاد بولادة «كرشنا» الطفل الإلهى وطلب قتل الولد، ولكى يتوصل إلى أمنيته أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا فى الليلة التى ولد فيها «كرشنا».	٥ ــ وحينئذ لما رأى هيردوس أن المجوس سخروا به غضب جدا فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس .
٦ ــ واسم المدينة التى ولد فيها «كرشنا» « مطر » وفيها عمل الآيات العجيبة .	٦ ــ واسم المدينة التى هاجر إليها يسوع المسوع فى مصر لما ترك اليهود هى «المطرية » ويقال : إنه عمل فيها آيات عديدة .
٧ ــ وأول الآيات والعجائب التى عملها «كرشنا» شفاء الأبرص.	٧ ــ ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة، وإذا أبرص قد جاء

٣ ــ كتاب الديانات الشرقية ص ٥٠٠ .
٤ ــ كتاب فشنو بورانا الفصل الثالث.
٥ ــ كتاب دوان ص ٢٨٠ .
٦ ــ تاريخ الهند ــ المجلد الثانى ص٣١٧.
٧ ــ تاريخ الهند ــ المجلد الثانى ص٣١٩.

٣ ـ إنجيل متى الإصحاح الثانى العدد ١١ .
٤ ــ إنجيل متى الإصحاح الثانى العدد ١٣ .
٥ ــ إنجيل متى الإصحاح الثانى العدد ١٦ .
٦ ــ المقدمة على إنجيل الطفولية تأليف هجين.
٧ ــ إنجيل متى الإصحاح الثامن العدد ١ :٣.

	وسجد له قائلا : يا سيد ، إن أردت تقدر أن تطهرنى، فمد يسوع يده ولمسه قائلا : أريد فأطهر، وللوقف طهر برصه».
٨ ــ وقال «كرشنا» للصياد الذى رماه بالنبلة وهو مصلوب : اذهب أيها الصياد محفوفا برحمتى إلى السماء مسكن الآلهة.	٨ ــ قال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه: الحق أقول لك: إنك اليوم تكون معى فى الفردوس.
٩ ــ ومات «كرشنا» ثم قام من بين الأموات.	٩ ــ فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب ليس هو ها هنا لأنه قام كما قال .
١٠ ــ ولسوف يأتى «كرشنا» إلى الأرض فى اليوم الأخير ويكون ظهوره كفارس مدجج بالسلاح وراكب على جواد أشهب وعند مجيئه تظلم الشمس والقمر، وتزلزل الأرض وتهتز ، وتتساقط النجوم من السماء.	١٠ ــ لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون أيضا مجىء ابن الإنسان ؛ لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور، وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء، وقوات السموات تتزعزع.
١١ ــ وهو (أى كرشنا) يدين الأموات فى اليوم الأخير.	١١ ــ «ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير؛ فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من

٨ ــ فشنو بورانا ص ٦١٢ .
٩ ــ دوان ص ٢٨٢ .
١٠ ــ دوان ص ٢٨٢ .
١١ ــ دوان ص ٢٨٣ .

٨ ــ إنجيل لوقا الإصحاح ٢٣، العدد ٤٣.
٩ ــ إنجيل متى الإصحاح ٢٨ العدد ٦.
١٠ ــ إنجيل متى الإصحاح ٢٤ العدد٢٧ : ٢٩.
١١ ــ إنجيل متى الإصحاح ٢٤، ورسالة بولس إلى أهل رومية الإصحاح ١٤، العدد ١٠.

	الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها». « لأننا جميعا سوف نقف أمام كرسى المسيح ».
١٢ ــ يقولون عن «كرشنا» : إنه الخالق لكل شىء ، ولولاه لما كان شىء مما كان فهو الصانع الأبدى.	١٢ ــ فى البدء كان الكلمة ، كان عند الله وكان الكلمة الله ، وهذا كان فى البدء عند الله كل شىء، وبغيره لم يكن شىء مما كان، فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس.
١٣ ــ «كرشنا» الألف والياء، وهو الأول والوسط وآخر كل شىء.	١٣ ــ أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن: والذى كان والذى يأتى القادر على كل شىء.
١٤ ــ كان «كرشنا» يحب تلميذه آرجونا أكثر من بقية التلاميذ بكثير.	١٤ ــ وكان متكئا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه (يوحنا) كان يسوع يحبه.

هذه بعض المختارات مما ذكره المؤلف عن المقابلة بين كرشنا والمسيح ، وقد أتبعها بفصل آخر عن مقابلة النص بين بوذا والمسيح ، وساق أكثر من ثمانية وأربعين نصا يتطابق فيها النقل مدعمة بمراجعها عند الوثنيين والنصارى.

ومما تجدر ملاحظته أننا راجعنا النصوص التى ذكرها المؤلف من الكتاب المقدس عند النصارى فوجدنا بعض الاختلاف اللفظى فى الطبعة الحديثة الموجودة اليوم كدأبهم فى تغيير النص كلما مضى وقت من الزمن ، وأقد أثبتنا النص الحديث.

---

١٢ ــ دوان ص ٢٨٢ .
١٣ ــ دوان ص ٢٨٣ .
١٤ ــ كتاب بها كافات كيتا.

١٢ ــ إنجيل يوحنا الإصحاح الأول العدد ١ ــ ٥ .
١٣ ــ رؤيا يوحنا الإصحاح الأول العدد٨.
١٤ ــ إنجيل يوحنا الإصحاح الثالث عشر العدد ٢٣.

كلمة تعليق

لا ريب أن المؤلف ــ رحمه الله تعالى ــ بذل جهدا كبيرًا فى تجميع هذه المتفرقات ، والقيام بهذا العبء الضخم فى دراسة تاريخ أديان العالم القديم.

وهى دراسة شائقة لا يقوى عليها إلا كل مخلص دؤوب ، وقد أظهرت حقائق غابت عن أجيال من بنى الإنسان ،وتاه عنها ملايين من بنى البشر خداعا وتضليلا.

والنتيجة التى وصل إليها المؤلف هى إثبات التطابق بين عقائد النصارى، بين عقائد الوثنيين القدماء.

وكان لعقيدة المصريين القدماء دور كبير فى التأثير على عقيدة النصارى، وأشار المؤلف فى مواطن عدة إلى أسطورة « إيزيس وأوزوريس » .

تلك الأسطورة المصرية القديمة التى تحكى أن للعالم ثلاثة آلهة: « رع » إله الشمس، و « نوت » إله السماء، و « جب » إله الأرض.

وتزوج « جب ونوت » ، وأنجبا ولدين هما « أوزوريس، وست » ، وبنتين هما « إيزيس ونفتيس » .

ودارت الأيام وتزوج « أوزوريس » من أخته « إيزيس » .

وتزوج «ست» من أخته « نفتيس » .

وتزعم الأسطورة أن « أوزوريس » حكم مصر ، وشهد الناس فى عهده سلاما وعدلا، فحقد عليه أخوه «ست»، وأراد التخلص منه ، فأقام وليمة دعا إليها بعض الأصدقاء من الآلهة المزعومة ومعهم « أوزوريس » ، وعند الانتهاء من الوليمة طرح « ست » على الحاضرين هدية هى تابوت ذهبى ، يفوز به من يناسب حجم جسمه ، وكان «ست» قد صنعه بحيث لا يلائم إلا جسم أخيه.

وعندما حاول الحاضرون قياس التابوت لم يكن ملائما لأى منهم ، حتى جاء دور « أوزوريس » فلما مد جسمه فى التابوت ، سارع أخوه فأغلقه عليه وسمره وألقى به فى اليم .

ولما وصل الخبر إلى زوجه « إيزيس » حزنت حزنا شديدًا ، وقامت بعمليات بحث مضنية حتى عثرت على التابوت قرب سواحل الشام.

وقدمت بالتابوت إلى مصر، وأخذت تصلى وتضرع للآلهة فعادت الروح إلى بدن زوجها ، وعاشا معا فترة من الزمن أنجبا فيها ولدهما « حوريس » .

وما أن شعر « ست » بعودة الحياة إلى أخيه « أوزوريس » حتى انقض عليه مرة أخرى ، ومزقة إربا وزعها على كل أقاليم مصر.

وعاد الحزن يملأ قلب « إيزيس » إلا أنها قامت بعمليات مسح شامل لأرض مصر تجمع منها أجزاء بدن زوجها ، ونجحت للمرة الثانية وأخذت تصل الأعضاء والأجزاء وعاد الجسد ، فأخذت تصلى وتدعو حتى عادت الروح لهذا البدن الممزق .

وحين التأم شمل الأسرة من جديد آثر «أوزوريس» أن يبقى فى العالم الآخر، ورفض أن يعود لهذه الدنيا بآلامها وأحزانها ، فاختارته الآلهة ليكون رئيس محكمة العدل الإلهية التى تحاسب الميت على ما قدمت يداه.

وظل « ست » يحكم مصر إلى أن قام « حوريس بن أوزوريس » ينادى بعودة الحكم إليه خليفة لأبيه ، ووقعت حروب انتهت بانتصار « حوريس » وهزيمة عمه « ست » .

هذه الأساطير الخرافية وتلك العقائد الوثنية التى شكلت عقيدة النصارى جعلتنى أقف طويلا متأملا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِ مَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة: ١١٣] .

وقوله جل شأنه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾ [البقرة : ١١٨] .

وبالرجوع إلى كتاب تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير وجدته يسوق هذا النص:

« وقد اختلف فيمن عنى بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾ :

فقال الربيع بن أنس وقتادة : وقالت النصارى مثل قول اليهود وقيلهم.

وقال ابن جريج : قلت لعطاء : من هؤلاء الذين لا يعلمون؟

قال : أمم كانت قبل اليهود والنصارى ، وقبل التوراة والإنجيل .

وقال السدى : هم العرب ، قالوا : ليس محمد على شيء.

واختار أبو جعفر بن جرير :

أنها عامة تصلح للجميع ، وليس ثم دليل قاطع يعين واحدا من هذه الأقوال ، والحمل على الجميع أولى . والله أعلم » (١) .

أليس هذا كشفا عن وجه جديد من وجوه الإعجاز القرآنى؟!

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ﴾ .

﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِم ﴾ .

ألا يكون ذلك من التشبيه المقلوب ، والأصل فيه : قالوا مثل قول الذين لا يعلمون ، أو مثل قول الذين من قبلهم.

والنكتة البلاغية هنا هى : كأن اليهود والنصارى صاروا أصلا فى الضلال والبهتان ؛ لأنهم استحفظوا الكتاب وبينات الهدى ، فخانوا الأمانة وبدلوا نعمة الله كفرًا ، حتى شبه بهم الوثنيون .

---

(١) تفسير ابن كثير : ١ / ١٥٥.

ولكن تبقى الحقيقة الماثلة للأذهان :

﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُم ﴾ .

ـ بهذا الأسلوب الدال على المفاعلة ، فأيا ما كان المشبه أو المشبه به ـ أهل الكتاب أو الوثنيون ـ فإن التشابه قائم ، والتقارب موجود ، والتأثير واضح :

﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُون ﴾ .

وقد ظهر الصبح لذى عينين : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴾.

وقد أكد القرآن المجيد هذا المعنى فى آية أخرى فقال :

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ . قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٥ ـ ٧٧] .

فهذه الآيات من أبلغ الدلائل على هدم عقائد النصارى وبيان فساد معتقدهم .

فالمسيح ابن مريم وجد بعد عدم ، والحادث لا يكون إلها .

والمسيح وأمه كانا فى حاجة ماسة إلى الطعام ؛ لدفع ألم الجوع ، والمحتاج لا يكون إلها .

فكيف يصرفون عن الحق إلى الباطل وعن الصدق إلى الكذب ؟!

ثم إن اليهود كادوا للمسيح وقصدوه بالسوء ، فما قدر المسيح على الإضرار بهم، والنصارى أحبوه فما قدر على إيصال نفع من منافع الدنيا إليهم.

والعاجز عن الضر والنفع كيف يكون إلها ؟

بل إنه عجز عن إنقاذ نفسه من بطش اليهود ، وأسلم الروح – فى زعمهم – مستغيثا ضعيفا ، فكيف يعبد من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ؟

ثم تتوجه الآيات بالخطاب لأهل الكتاب تحذرهم مغبة الغلو فى الدين ، قال الإمام الرازى :

« والغلو نقيض التقصير ، ومعناه الخروج عن الحد ، وذلك أن الحق بين طرفى الإفراط والتفريط ، ودين الله بين الغلو والتقصير .

وقوله : ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ صفة المصدر ، أى لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق : أى غلوا باطلا ؛ لأن الغلو فى الدين نوعان :

غلو حق : وهو أن يبالغ فى تقريره وتأكيده.

وغلو باطل : وهو أن يتكلف فى تقرير الشبه وإخفاء الدلائل .

وذلك الغلو هو أن اليهود لعنهم الله نسبوه إلى الزنا وإلى أنه كذاب ، والنصارى ادعوا فيه الإلهية » (١) .

ثم يأتى بيت القصيد :

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

فهى أهواء تدعو إليها الشهوة دون الحجة ، وهى شرور لا خير فيها ، وهى أباطيل لا حق يساندها ، فقد تغلغلت الوثنية فى دروب التاريخ واستحكمت على أجيال من بنى البشر، وتركت بصمات واضحة فى عقائد أهل الكتاب الذين حرفوا الكلم عن مواضعه وزيفوا الدين من أجل شهوات الدنيا .

هذا وقد جاء بعد عصر مؤلف كتاب « العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية» من أكد الحقائق التى نقلها واستنتجها ، فيقول الفيلسوف المؤرخ الشهير «ول ديورانت» :

---

(١) التفسير الكبير : ١٢/٦٧.

« إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ؛ ذلك أن العقل اليونانى المحتضر عاد إلى الحياة فى صورة جديدة فى لاهوت الكنيسة وطقوسها.

وأصبحت اللغة اليونانية ــ التى ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة ــ أداة الآداب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة.

وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ، فجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس.

ومنها جاءت عبادة أم الطفل ، والاتصال الصوفى بالله ، ذلك الاتصال الذى أوجد الأفلاطونية الحديثة ، واللاأدرية وطمس معالم العقيدة المسيحية.

ومن مصر أيضا استمدت الأديرة نشأتها والصورة التى نسجت على منوالها.

ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى.

ومن سوريا أخذت تمثيلية بعث « أوتيس » .

وكانت تراقيا هى التى بعثت المسيحية بطقوس « ديونيشس » وموت الإله ونجاته.

ومن بلاد الفرس جاءت عقيدة رجوع المسيح، وحكمه الأرض ألف عام، وعصور الأرض واللهب الأخير الذى سيحرقها، وثنائية الشيطان والله، والظلمة والنور . . . فمن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نورا، « يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه».

وفى عبارة موجزة يقول هذا الفيلسوف:

« وقصارى القول : إن المسيحية كانت آخر شىء عظيم ابتدعه العالم الوثنى القديم » (١) .

---

(١) قيصر والمسيح ــ من قصة الحضارة : ١١ / ٢٧٥.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
المحاورة الأولى : شخصية المسيح :	٩
عقيدة الكنيسة	١١
مذاهب النصارى	١٤
الثالوث والتوحيد	١٧
بين آدم وعيسى عليهما السلام	٢٦
صفات إله أم رسول؟	٣٣
الرجال بالحق	٤٣
المحاورة الثانية : الخطيئة والصلب :	٤٩
فلسفة الكنيسة	٥١
أسطورة الصلب	٥٤
علامة استفهام	٥٩
آدم بين المعصية والتوبة	٦٣
فرضيات	٧١
طريق الخلاص	٧٥
عذاب الله	٨١
المحاورة الثالثة : أناجيل البشر :	٨٧
دعوى صحة الكتاب المقدس	٨٩
العهد القديم	٩٤
الأصل المفقود	١٠٣

مختارات ———— ١٠٨
إلهام أم تأليف ؟ ———— ١١٣
بولس والشيطان المقدس ———— ١١٩
إنجيل برنابا ———— ١٢٤
المحاورة الرابعة : العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية : ———— ١٣٩
عرض عام ———— ١٤١
عقيدة التثليث عند الوثنيين والنصارى ———— ١٤٤
تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة ———— ١٤٧
ولادة أحد الآلهة الذين قدموا أنفسهم فداء عن الناس ———— ١٤٩
وقائع الميلاد وما صاحبه من خوارق العادات ———— ١٥١
قيام أولئك الآلهة من بين الأموات ———— ١٥٥
مقابلة النص الصريح بين كرشنا ويسوع المسيح ———— ١٥٨
كلمة تعليق ———— ١٦٢
فهرس الموضوعات ———— ١٦٩

رقم الإيداع : ١٣٦٩٠ / ١٩٩٨م
I.S.B.N:977-15-0248-4